سلسلة أئمة أهل البيت عليهم السلام

مؤسسة البلاغ

**هذا الكتاب**

**نشر إليكترونياً وأخرج فنّياً برعاية وإشراف**

**شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام للتراث والفكر الإسلامي**

**بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى.**

## الرسول الأعظم مُحَمَّد ﷺ

الاسم: مُحَمَّد ﷺ

اسم الأب: عبد الله.

اسم الأم: آمنة

تاريخ الولادة: عام الفيل

محل الولادة: مكة

تاريخ الوفاة: السنة الثالثة عشرة للهجرة

محل الوفاة: المدينة

محل الدفن: المدينة.

### عام الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل الهجرة باثنتين وخمسين سنةً، توجّه أبرهة الأشرم من اليمن بجيش كبير، عماده محاربون يركبون الفيلة، توجّه نحو مكّة لتدمير بيت الله. وقام في طريقه إلى مكة بالقضاء على كلّ من حاول الوقوف في وجهه.

وصل جيش أبرهة إلى ضواحي مكة، وكان الوقت ليلاً، فأقام معسكره هناك في انتظار الصّباح ليشرع في هجومه، بينما سارع أهل مكّة إلى الجبال هرباً منه، وأسلموا الكعبة إلى الله، فهو سبحانه الكفيل بالدفاع عنها، فهي أول بيتٍ أقيم في الأرض لعبادته تعالى.

وفي الصباح الباكر. شرع المقاتلون بهجومهم على الكعبة، يتقدّمهم ركّاب الفيلة، وفجأةً ظهرت في السماء أسراب هائلة من الطيور، تحمل في مناقيرها حجارةً صغيرةً، قامت بإلقائها فوق رؤوس أبرهة ورجاله، ارتفع صراخ العسكر وتعالى أنينهم وتوجّعهم، وبدأوا يتساقطون، الراكب منهم والراجل، الحصان وفارسه، الفيل وراكب الفيل، تساقطوا فوق بعضهم أكواماً من الجثث، وهكذا قضى الإله القدير على أعدائه المارقين. وكان هذا الحدث العجيب وراء تسمية تلك السنة بـ (عام الفيل)، العام الذي تمّ فيه القضاء - وبإرادة العلي القدير - على فيلة الحرب وركابها، بحجارةٍ صغيرةٍ اخترقت أجسادهم، وحفظ الله بيته من عدوان المعتدين.

## مُحَمَّد الأمين

في ذلك العام (عام الفيل) ولد الرسول الأكرم، لأمه آمنة بنت وهب. وكانت آمنة سليلة بيت الكرم والشرف، وقد اشتهرت بالسمعة الطيّبة والطهارة

والعفاف، أمّا أبوه فكان يدعى عبد الله، الابن المحبوب من أبيه عبد المطلب جد الرسول(، وسيد قومه، وموضع اعتزازهم واحترامهم. وقد فارق عبد الله الحياة قبل ولادة الرسول الأكرم ﷺ ، أمّا آمنة فقد انتقلت إلى رحمة ربّها بعد ولادته ﷺ بستّ سنوات، فكفله جدّه عبد المطلب، وعهد به إلى امرأةٍ عفيفةٍ شريفةٍ، اسمها حليمة السعدية، لتقوم بإرضاعه ورعايته، وقد توفّي عبد المطلب بعد عامين، فأخذه عمه أبوطالبٍ إلى بيته، وتكفّل برعايته وتربيته.

كان أبوطالب يتعاطى التجارة، وكان من عادة تجار مكة أن يخرجوا بتجارتهم إلى الشام مرّةً في السنة، وقد رافق مُحَمَّد ﷺ عمه أبا طالبٍ في إحدى رحلاته إلى الشام.

عرف الجميع عن محمدٍ ﷺ أمانته واستقامته، حتى اشتهر بينهم بـ (مُحَمَّد الأمين). ولما علمت خديجة باستقامته وأمانته، وكانت من أشرف نساء مكّة وأكثرهنّ ثراءً، سلّمته أعمالها التجارية، فاكتسب خبرةً

واسعةً بطرق وأصول التجارة، ثم ما لبثت أن أحبّت أخلاقه وعزّة نفسه، فتزوّجت منه، ووضعت بين يديه وفي تصرّفه، كامل ثروتها وأعمالها.

فقام ﷺ مستعيناً بقوّة شبابه وإرادته، وما وفّرته له زوجته من إمكانيّاتٍ، قام بمساعدة المظلومين، ومد يد العون إلى الفقراء المستضعفين.

رزق ﷺ من خديجة بستة أبناء: ولدين أسماهما قاسماً وعبد الله، وقد توفّيا صغيرين قبل بعثته ﷺ ، وأربع بناتٍ هنّ رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة عليهن السلام . وكان ﷺ كثير الصبر عظيم الجلد، فلم يبدر منه أيّ إحساس بالضعف لموت ولديه، بل تقبّل قضاء الله وحكمه بالرّضى والإقرار.

كان ﷺ يتمتّع باحترامٍ شديدٍ بين الناس، وكانوا يرجعون إليه ليسادعهم في حل مشاكلهم، وكانوا يثقون به ويعتمدون عليه، ويودعون لديه أماناتهم، ولم تعرف عنه كذبه واحدة، لأنّه كان رجلاً صادقاً مؤمناً. ﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيمٍ﴾ (القلم – ٤).

كان الناس في تلك الأيام يعبدون الأصنام، بينما كان هو يعبد الله الواحد الأحد، ملّة جده إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان يقضي معظم وقته يتعبّد في غار حراءٍ، وهو غار يقع على قمّة جبل في شمال مكّة. وكان يذهب خفيةً إلى هناك، فيقضي شهر رمضان بكامله، يصلي ويعبد ربّه ويناجيه.

## البعثة

في السابع والعشرين من شهر رجب، وكان صلى الله عليه وآله كعهده دائماً مشغولاً بعبادته في الغار، وإذا بجبرائيل - ملاك الرحمان - يظهر أمامه، وما إن تطلع إليه حتى بادره قائلاً: (اقرأ). لكنّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ، والذي لم يكن قد تلقّى أيّ تعليمٍ، وهو لا يحسن القراءة أو الكتابة، أجاب متعجّباً: وماذا أقرأ؟ فأنا لا أحسن القراءة قال جبرائيل مكرّراً أمره: (اقرأ) لكنّه وللمرة الثانية سمع الرد نفسه، وحين كرر قوله للمرة الثالثة، أحسّ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله أنّ باستطاعته أن يقرأ. (اقرأ باسم ربّك الذي خلق).

وهكذا اختار الله سبحانه مُحَمَّداً ﷺ للنبوّة، وهو في سن الأربعين، وكلّفه بأن يقوم بهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات والشرك والجهل الذي هم فيه، إلى رحاب العلم ونور الإيمان، وأن يرشدهم إلى طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

(وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين) (الأنبياء – ١٠٧).

نزل الرسول ﷺ من الجبل مضطرباً وتوجّه إلى بيته، وهناك كانت أوّل امرأة آمنت به، وهي زوجته خديجة، وأوّل رجلٍ مد يده إليه بالبيعة، ابن عمه الفتى علي بن أبي طالب، الذي تربّى في بيت الرسول ﷺ منذ نعومة أظفاره.

## وأنذر عشيرتك الأقربين

كان النبي ﷺ حين يقوم للصلاة، يقف عليّ عليه السلام عن يمينه وتقف خديجة من ورائه، واستمر الأمر كذلك، حتى أمر أبوطالبٍ ولده جعفر باتّباع الرسول

ﷺ ثم نزل إليه أمر الله تعالى، بأن يقوم بدعوة أهله وعشيرته الأقربين إلى الإسلام (وأنذر عشيرتك الأقربين) (الشعراء – ٢١٤).

فدعا ﷺ إلى بيته ما يزيد على أربعين فرداً من بني هاشمٍ، وبعد أن تناولوا الطعام، وقف بينهم، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب، جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟).

ومن بين الحضور جميعهم، وقف عليّ عليه السلام وهو ما يزال ابن عشر سنواتٍ، وأعلن استعداده لمؤازرة الرسول ﷺ كرّر الرسول ﷺ قوله ثلاث مراتٍ، وكان الوحيد الذي استجاب له في المرّات الثلاث هو عليّ ﷺ .

بقي الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام سرّاً، لمدّة

ثلاث سنوات، واستجاب لدعوة الإيمان عدد قليل من الناس.

## في مواجهة الشرك

في تلك الأيّام، كان الناس يفدون إلى مكّة من بلادٍ وأماكن بعيدةٍ للحج، وكانوا يحضرون معهم بضائع يحتاجها أهل مكة، فيتّجرون بها معهم، وكان هذا العمل مصدر ربح وفير يجنيه أثرياء مكة ، والربح هو همهم ومحور تفكيرهم.

كان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى ترك العادات السيئة، كالزنا وشرب الخمر ووأد البنات وقتلهم، وأكل مال اليتيم وأكل الميتة وشهادة الزور، وغير ذلك من الفواحش. وكان يدعوهم بالمقابل إلى الأمر بالمعروف والإحسان إلى الأرامل واليتامى والمساكين، وصلة الرحم وحسن الجوار.

وكان ﷺ يجلس إلى أولئك الزوار القادمين من بعيد، ويتحدّث إليهم، وينصحهم بترك عبادة

الأصنام، التي صنعها الكفّار بأيديهم من الخشب والحجارة، ونصبوها في المسجد الحرام فوق الكعبة، ينصحهم بترك عبادتها لأنّها لا تنفعهم ولا تضرّهم. وأن يتّجهوا بالعبادة إلى الإله الواحد، خالق كلّ شيءٍ.

كان أثرياء مكّة يتساءلون: ماذا لو استمع الناس إلى مُحَمَّد وتركوا عبادة الأصنام، إذن لا نقطع قدومهم إلى مكة، وانقطع معهم مورد رزقنا ومصدر أرباحنا، لذلك شرعوا في إعلان الخصام الشديد لمحمد ﷺ ولتابعيه من المسلمين الأوائل، ورغم ذلك فقد كان عدد المؤمنين يزداد يوماً عن يوم، كما كانت معاملة قريش له ولأصحابه، تزداد قسوةً ووحشيةً. وكان مشركو قريش ينزلون بالمسلمين الأذى والضرر، ويوجّهون لهم السباب والشتائم، كي يمنعوا انتشار الإسلام بين الناس، غير أنّهم لم يجرؤوا على توجيه الأذى لجميع المسلمين، لأنهم ينتسبون الى قبائل عديدة، تحسب قريش حسابها، وأمام عجزهم ذاك، فقد توجّه نفر من أعيانهم إلى بيت أبي طالب، عمّ

الرسول وحاميه، وسيد بني هاشم، وشكوا إليه أمرهم مع مُحَمَّد قائلين:

يا أبا طالب إنّ ابن أخيك مُحَمَّداً قد عاب آلهتنا، وسفه أحلامنا وسخر من عقائدنا، واتّهم آباءنا بالضلال، ونحن على استعداد لكي نقدم إليه كل ما يطلب، لو ترك هذا الأمر، فإمّا أن تمنعه أنت، وإمّا أن تسلمه إلينا فنرى فيه رأينا.

قال أبوطالب: سأتحدث إليه في هذا الأمر. وعند ما نقل أبوطالب أقوال قريش إلى النبي ﷺ أجابه: (والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه). فلمّا سمع أبوطالب مقالة النبي ﷺ وردّه على العرض الذي تقدمت به قريش، أخذ يده بقوة وحرارة قائلاً: وأنا أيضاً أقسم بالله، أنّي لن أرفع يدي عنك، فسر في طريقك.

رأى كبار قريش أن يلجأوا إلى الخديعة والمكر، بعد أن رأوا فشل تخطيطهم، فقالوا له: يا

أبا طالب، إنّ مُحَمَّداً قد شتت جموعنا وسخر منا ومن أصنامنا التي نحن لها عابدون، حتى أغرى بنا غلماننا، وشجّعهم على العصيان والتمرد، ونحن لا نرى تفسيراً لسلوكه ولا ندري ما هو غرضه. فإن كان فقيراً أغنيناه، وإن كان يريد الملك والجاه، أمرناه علينا وله منا الطاعة، وكل ما نطلبه منه، هو أن يتخلّى عن هذه الدعوة ويتركنا لحالنا وأمورنا. لكنّ الرسول ﷺ نظر إلى عمّه وقال: يا عمّاه، أنا لا أريد من هؤلاء الناس شيئاً ولا أطلب منهم إلا أن يؤمنوا بالله الواحد العظيم، ويتركوا معبوداتهم وأصنامهم الحقيرة تلك، فإنّها لا تغني عنهم شيئاً. سمع رجال قريش جواب الرسول ﷺ فامتلأوا غضباً وغيظاً وخرجوا وقد صمّموا على أن يستعملوا معه الشدّة والقسوة منذ ذلك اليوم.

عقب هذه الحادثة، ضاعفت قريش من إيذائها للرسول، وتعذيبها لأصحابه، حتى أن بعض أقارب النبي ﷺ ، كأبي لهب، غدوا من أعدى أعدائه.

فكانوا يرمونه بالأقذار، ويسخرون منه ويوجّهون إليه السباب على مرأى من الناس، حتى أنّهم اتّهموه بالخبل والجنون. لكنّهم كانوا عبثاً يحاولون، فلم يفوزوا من أفعالهم هذه بطائل، وكم كانوا يتمنون لو يقتلوه ويتخلّصوا منه، لو لا خوفهم من عزيمة أبي طالب، وسيف حمزة، وانتقام بني هاشم. وكم من مرّة رسموا خططاً لقتله، لكنهم كلما حاولوا تنفيذ خططهم الشريرة، كان الله سبحانه لهم بالمرصاد، فأبطل أعمالهم وسفّه أحلامهم.

## أول شهادة في الإسلام

كان نصيب بعض المسلمين من الأذى قليلاً، لأنّهم ينتمون إلى قبائل كبيرةٍ ومشهورة، وكان المشركون يخافون من قبائلهم تلك، لكنّ أكثر أتباع الدين الإسلامي، كانوا من الفقراء المستضعفين، أو من العبيد الأرقّاء، فكان الأذى الذي ينزل بهم أقوى وأشدّ، كبلال الحبشيّ، وكان عبداً أسود البشرة، فقد طرحه سيّده فوق الأحجار الملتهبة تحت شمس مكة

الحارقة، كما طرحت فوق صدره صخور كبيرة الحجم، وترك ساعات يعاني من العذاب والحرّ، والجوع والعطش، كانوا يطلبون منه الابتعاد عن مُحَمَّد ودعوته. لكن جواب بلال لهم كان قوله أحد، أحد، الله واحد. فما كان من المشركين أخيراً إلاّ أن ربطوه بحبل. وصاروا يجرونه في أزقّة مكة، فوق الأحجار والرّمال، لكنّ بلالاً كان مسلماً حقّاً، ولم تكن شدّة العذاب إلا لتزيده قوّةً وإيماناً.

كما كان ياسر وسميّة وابنهما عمّار، من المسلمين المستضعفين، المحرومين ممن يحميهم ويدفع الأذى عنهم. لذلك فقد رأوا من العذاب أشدّه، أمّا ياسر وسميّة فقد قضيا شهيدين تحت التعذيب. وأمّا عمار، فقد قاومهم حتى اقترب من الموت، بعد أن رأى مصرع أبويه أمام عينيه لكنّه لم يكن أبداً ليرتدّ عن شريعة الإسلام، وإن تفوّه بكلمة الكفر تقيّةً تحت تأثير العذاب. (إلاّ من أكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان) (النحل – ١٠٦).

كان الرسول ﷺ يرى هذه الألوان من العذاب، تنزل بأصحابه وأحبابه، فيتفطّر لهم قلبه العطوف، ويألم لمصابهم، لكنّه لم يكن يملك من علاجٍ إلاّ الصبر الجميل.

## المقاطعة

أحس مشركو قريش أن خططهم لم تصل إلى نتيجةٍ، ورأوا الخطر يزداد عليهم بازدياد انتشار الإسلام، فلجأوا إلى تدبير خسيس، بعيد عن الإنسانية، وقرّروا مقاطعة المسلمين، وفرض الحصار الاقتصادي عليهم، وأصدروا وثيقةً تتضمّن أربع نقاطٍ للمقاطعة:

١ - منع الشّراء والمبيع من المسلمين.

٢ - مناصرة خصوم محمدٍ، والالتزام بها، واجب في جميع النزاعات.

٣ - لا حقّ لأحد في الزواج من المسلمين أو تزويجهم.

٤ - يمنع أيّ شكل من أشكال التعامل أو العلاقة مع المسلمين.

وعلّقوا صحيفة المقاطعة هذه على الكعبة.

لما رأى أبوطالبٍ ما وصلت إليه الحال، وكيف غدت معيشة المسلمين مستحيلةً في مكة، تقدم من ابن أخيه، وعرض عليه أن يغادر بنو هاشم إلى بعض ضواحي مكة، ليقيموا في وادٍ يعرف بـ (شعب أبي طالب) وحين لمس قبولاً من الرسول صلى الله عليه وآله باقتراحه، جمع أفراد بني هاشم وقال لهم: لقد عزم مُحَمَّد على الانتقال إلى الشعب، لذا فكلّ منكم مكلف بمرافقته، وأن يكون له مساعداً وظهيراً حتى النفس الأخير.

امتدت مقاطعة قريش لبني هاشم ثلاث سنوات، كانت من أشدّ الفترات قسوةً على المسلمين، وخاصةً من حيث قلّة المواد الغذائية التي وصلت إلى حد كان فيه الفرد منهم ينال حبّة تمر واحدةً في اليوم، بل كانت حبّة التّمر هذه تقسم أحياناً بين اثنين منهم، وكان علي عليه السلام يأتيهم بالطعام سرّاً من مكة. وفي الأشهر

الحرم، حين كان الأمن يتوفّر بشكل أفضل، كان بعض فتيان بني هاشم يقصدون مكة لتأمين بعض ما يلزمهم من حاجياتٍ، فكانت قريش تحرّض الباعة على رفع أسعارهم، وكان أبولهب يصيح في أسواق مكّة قائلاً: أيّها الناس، ارفعوا من أسعاركم حتى لا يستطيع المسلمون شراء ما يلزمهم ما أشبه اليوم بالبارحة، فقوى الاستكبار اليوم تعمل جاهدةً على إدخال المسلمين في مسالك مماثلة، ولا يزال هناك أناس مثل أبي لهب، يغتنمون ظروف الحصار الاقتصادي، فيرفعون أسعار بضائعهم يوماً عن يوم، إنّهم من أمثال أبي لهب، ومن السائرين على دربه، وهم ليسوا جديرين بحالٍ من الأحوال أن يدعو بالمؤمنين.

بعد مقاطعةٍ دامت ثلاث سنواتٍ دون طائلٍ، وحين ثبت لقريش أنّ الحصار الاقتصادي بدوره لم يأت بنتيجةٍ، ولم يفت من عزيمة المسلمين، بل زادهم إيماناً، ندم بعض القرشيّين على ما أقدم عليه

قومهم، وبدأوا شيئاً فشيئاً يخفّفون الحصار، حتى انتهى الأمر بأن أصبح المسلمون أحراراً في المجيء إلى مكة. واستطاعوا أن يعودوا ثانية إلى بيوتهم، وكان ذلك بمعجزة من الله تعالى، إذ بعث الأرضة (وهي حشرة صغيرة تقرض الأخشاب وغيرها( إلى صحيفة المقاطعة، فأكلت كلّ ماكتب فيها من كلمات الظلم والمقاطعة، وأبقت على غيرها من الكلمات، فلمّا رأى الناس ذلك، عرفوا أنّ الله سبحانه لا يقبل بهذه المقاطعة، فمزّقوا الصحيفة وأسلم عدد كبير منهم.

## الهجرة

بعد زمن قصير فارق أبوطالب عمّ الرسول ﷺ ، وخديجة زوجته الحياة، واحداً إثر الآخر، فكان لفقدهما أسوأ الوقع والأثر على الرسول ﷺ ، وهما ظهيراه وناصراه، واشتدّت بعد موتهما ضغوط قريش على المسلمين، وبخاصّة على رسول الله ﷺ فأمر المسلمين أن يهاجر من يريد الهجرة منهم إلى الحبشة قائلاً: (إنّ بها (أي الحبشة( ملكاً لا

يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق). فهاجر فريق من المسلمين إلى الحبشة بإمرة ابن عمّ الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

تآمرت قريش سرّاً على قتل النبي ﷺ ، وفي الليلة المحدّدة، أخبر الله تعالى نبيه بمكرهم، فأمر ﷺ علياً عليه السلام بالمبيت على فراشه بعد أن أعلمه بمكر قريش، سرّ علي عليه السلام لأنّه سيفدي الرسول بنفسه، ونام في فراشه، وخرج الرسول ﷺ من بين المتآمرين دون أن يروه، ولما اقتحموا الدار مشرعين سيوفهم، فوجئوا بأنّ شاغل الفراش هو عليّ، فأسقط في أيديهم، وملأهم الغيظ دون أن يستطيعوا مواجهة سيف الإمام عليه السلام، أمّا الرسول ﷺ فقد أنجاه الله من بين أيديهم وأحبط مكرهم.

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (الأنفال - ٣٠).

كانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنوّرة، ذات أثر كبيرٍ وأهميّة فائقة، حتى اعتبرت سنة الهجرة

بداية للتاريخ الإسلامي، وكان سكان المدينة ينتظرون قدوم الرسول إليهم بفارغ الصبر، وقد خرجوا لاستقباله بالأهازيج والتحيات والصلوات، وبين جماهير قد ملأها الحماس، دخل عليه الصلاة والسلام المدينة. وكان أوّل عمل قام به هو أنه أمر ببناء مسجد، ليكون قاعدةً تنطلق منه دعوة الإسلام، وليكون منطلقاً لوحدة المسلمين، وبالتعاون والتّكاتف بين الناس تمّت إقامة المسجد بمدةٍ قصيرة، وبدأ المسلمون يجتمعون فيه كلّ يومٍ، ليستمعوا إلى تعاليم نبيّهم وإرشاداته.

وكان العمل الثاني للرسول ﷺ أنّه آخى بين المسلمين، وغدا الناس الذين كانوا بالأمس القريب يشهرون السيوف على بعضهم، غدوا بفضل هذا النهج، وقد شبكوا الأيدي، ووقفوا كتلةً واحدة لا يشغلهم سوى اليقظة والتنبه إلى أعدائهم، أعداء الإسلام. وقد تمّ تشكيل مجموعات منهم لتعليم القرآن الكريم والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر ففريق يجلس إلى الناس يتحدّث إليهم، وفريق يتلقّى تعاليم الإسلام وأصوله، وآخرون يمضون مع معاهديهم من المسلمين.

## وقعه بدر الكبرى

كان الإسلام بهذه الطريقة يحقّق انتشاراً واسعاً يوماً بعد يومً، ويحقّق المسلمون بالتالي مزيداً من القوّة والقدرة، وقد تجلّت هذه القدرة واتّضحت تحديداً في السنة الثانية للهجرة، حيث استطاع جيش المسلمين أن يلحق بمشركي قريش هزيمةً منكرةً، وذلك في وقعة بدر الكبرى وقد اكتسب المسلمون بعد هذه الوقعة المزيد من المؤيدين والمعاهدين، كما ازداد بالمقابل إحساس زعماء قريش بالخطر، وقد كانوا بين فترة وأخرى يجهّزون حملة نحو المدينة، كي يظهروا عجز الرسول وجماعته، بكلّ طريقة ممكنة. أمّا الآن، والله سبحانه نصير للمؤمنين، فلم تعد تنفع المشركين أعمالهم، وغدا الظّفر والغلبة حليفين للمسلمين في أكثر حروبهم مع المشركين، لما يقدّمه

المؤمنون من تضحيةٍ وفداء، وشيئاً فشيئاً انعدمت الجرأة لدى قريش على مواجهة جنود الإسلام.

## صلح الحديبية

في السنة السادسة للهجرة قرّر النبي ﷺ أن يتوجّه بصحبة نفر من أصحابه لزيارة بيت الله الحرام في مكّة، ولما علمت قريش بالأمر أرسلت وفداً كي يطلب منه أن يؤجّل زيارته، وبعد محادثاتٍ مطوّلةٍ توصّل الرسول ﷺ وممثلو قريش إلى اتّفاق تم توقيعه وكان مما جاء فيه: تتوقف الحروب والمنازعات بين المسلمين وقريش لمدة عشر سنوات، وللمسلمين الحقّ بالحج وزيارة مكّة والبقاء فيها ثلاثة أيّام، وذلك اعتباراً من العام القادم.

## انتشار الإسلام

وضع هذا الاتفاق حدّاً لاعتداءات قريش على المسلمين، وهيّأ فرصة مناسبة للرسول الكريم كي يقوم بنشر الدعوة وتصدير الثورة الإسلامية إلى أقطارٍ

أخرى. فأرسل برسائل إلى ملوك وحكّام الأقطار الكبيرة آنذاك، يدعوهم فيها إلى الإسلام. ومن أولئك الملوك خسروبرويز ملك إيران، وكان شخصاً متكبّراً يملؤه الغرور والصّلف، فلما تلقّى كتاب النبي ﷺ ، كبر عليه أن يتجرّأ مُحَمَّد ويكتب إليه، قبل أن يبادره هو بالكتابة أوّلاً، وغضب غضباً شديداً فمزّق الكتاب حتى قبل أن يقرأه، وأمر بطرد مبعوث النبي ﷺ من قصره، وقد أضمر في نفسه منذ ذلك اليوم أن يقتل الرسول، لكن الإله الكبير سبحانه، سرعان ما هيّأ لهذا المغرور المتعجرف جزاءه، فلم ينقض وقت طويل، حتى لقي حتفه بيد ابنه.

وصلت رسائل النبي ﷺ واحدةً بعد الأخرى إلى بلاد الرّوم ومصر وغيرهما من البلدان، فقام بعض حكّام تلك البلاد بالردّ على دعوة النبي ﷺ ردّاً مؤدّباً لائقاً، فالنجاشي ملك الحبشةٍ، بعث بردّه إلى الرسول ﷺ بكل احترامٍ وإعزازٍ، وأرفق ردّه بهدايا اختارها خصّيصاً، بعث بها مع ابن له إلى

رسول الله ﷺ .

ومع انتشار العقيدة الإسلامية في شتّى المناطق، استجاب الكثيرون لنداء الرسول ﷺ ، والتحقوا به أصحاباً وتابعين.

بعد انقضاء عام كامل على الاتّفاق الذي أبرم بين المسلمين وقريش، أصدر النبي ﷺ أوامره بأن تتوجّه قوافل المسلمين نحو مكّة. ولم يستطع زعماء قريش أن يقفوا في وجوههم أو يمنعوهم من دخول مكّة، طبقاً للاتّفاق المعقود بين الطرفين، لكنّهم أمروا سكّان مكة بمغادرتها والصعود إلى الجبال الواقعة حولها. ودخل الرسول ﷺ مكة محرماً وملبّياً دعوة الله تعالى مع ألفين من أصحابه، وطافوا حول بيت الله، ثم اصطفّوا للصلاة والدعاء. وكان لهذه المناسك الإسلامية الجليلة أكبر الأثر في نفوس أهل مكة، حتى أنّ بعضهم أظهر علناً تعلّقه بالرسول ﷺ وشريعته، الأمر الذي أغضب زعماء قريش وسبّب عدم ارتياحهم فأصرّوا على ألاّ يبقى المسلمون في

مكة ساعةً واحدةً، زيادةً على الأيام الثلاثة المتّفق عليها. تضايق بعض المسلمين من تصرّف قريش، لكنّ الرسول ﷺ والذي كان صادقا وحازما في تنفيذ ما اتفق عليه مع معاهديه، أعطى أوامره بالتّحرك. وبإحساس غامر بالظّفر والارتياح، تحرّك المسلمون نحو المدينة، فقد استطاعوا أن يجهروا بقول (الله أكبر). (لا إله إلا الله)، وأن يسمعوا الناس هذا النداء العظيم، بعد أن كانوا عاجزين طيلة سبع سنوات حتّى عن زيارة بيت الله.

## فتح مكة

في السنة الثامنة للهجرة، نشب قتال بين المسلمين وجيش الروم، فخسر المسلمون المعركة واضطرّوا للتراجع. وحين علمت قريش بانكسار جيش المسلمين، سوّلت لهم أحلامهم أنّ قوّة المسلمين قد ضعفت، وأنّ القضاء عليهم أصبح سهلاً، فنقضوا لذلك عهدهم، وهاجموا قبيلةً من القبائل الموالية للمسلمين، ووقع أفرادها في أيديهم

بين قتيل وأسير، بينما استطاع البعض النجاة بالفرار، ونقلوا خبر الهجوم إلى رسول الله ﷺ انزعج الرسول لنقض قريش عهدها. وتعهّد لهم بتأديب عبدة الأصنام المارقين. عمّ القلق قريشاً لقرار الرسول ﷺ وفوّضت جماعةً، بالتوسط معه على تجديد العهد السابق، لكنّ رجاءهم هذا قد رفض، وعاد رسلهم من مسعاهم خائبين. وفي الوقت الذي رآه الرسول ﷺ ملائماً لخططه، أعلن التّعبئة العامة في المدينة، وأمر بأن توضع كافّة مداخلها ومخارجها تحت المراقبة، وأن تضبط تحرّكات الناس بشدةٍ، كي يحول دون وصول أنباء التعبئة إلى قريشٍ. وكان ﷺ يدرك أنّه إن وفّق المسلمون في فتح مكّة، وإرغام العدوّ على نزع سلاحه، فإنّ كثيراً من أعداء اليوم، يصبحون مسلمين غداً بتأثير تعاليم الإسلام السّمحة، ولتحقيق ذلك يجب إنجاز هذا العمل الكبير دون إراقة دماء.

في العاشر من شهر رمضان المبارك. من السنة

الثامنة للهجرة، أصدر الرسول ﷺ أوامره بالتحرّك، ووصل جند الإسلام إلى مكانٍ قريبٍ من مكة ليلاً، فأقاموا معسكرهم هناك، وأمر الرسول بنيران كثيرةٍ فأضرمت، وكان أبوسفيان وعدد من مرافقيه خارج مكة، وإذا به يفاجأ بالنيران تشعّ قرب مكّة، فأخذه العجب والحيرة، وتسمّر في مكانه مندهشاً من كثرتها. تصادف في هذا الوقت مرور العباس عم الرسول ﷺ من هذا المكان، فرأى أبا سفيان وناداه قائلاً: أي أبا سفيان أتدهشك هذه النيران؟ إنّها لجيش مُحَمَّد ﷺ ، وقد أقاموا ينتظرون الصّباح ليدخلوا مكة، ولن يكون في طاقة أحدٍ صدّهم عمّا اعتزموا.

ارتجف أبوسفيان لدى سماعه أقوال العباس، وراح يرجوه أن يأخذه معه إلى الرسول، ناسياً صلفه وكبرياءه.

وبحضرة الرسول الأعظم ﷺ تظاهر أبوسفيان بالإيمان، وأعلن إسلامه، متأثّراً ممّا رآه من قوّة واقتدار جيش المسلمين. في حين رأى الرسول الكريم ﷺ

في استسلام أبي سفيان دون إراقة الدماء، خير خاتمة تحمل من الفوائد الكثير. وأصدر قراره قائلاً: أعلن عن لساني لأهل مكة، أنّ كلّ من دخل المسجد الحرام، أو دخل بيته وأغلق بابه، أو لجأ إلى بيت أبي سفيان، فهو آمن.

عاد أبوسفيان إلى مكة، ونقل إلى الناس فيها كل ما رأى وسمع وهو يرتجف، فتسارع الناس إلى الهرب دون تفكير، ولجأ كلّ منهم إلى ملجأٍ. وبنداء الله أكبر، دخل جيش المسلمين الظافر مكة، واتجهوا شطر البيت الحرام، وتقدّم الرسول ﷺ : على ناقته، تحفّ به جموع المسلمين من كلّ جانب، لأداء طوافه حول بيت الله. ولما لاحظ أهل مكّة أنّ الرسول ﷺ لا يلتفت إليهم، شرعوا يخرجون من بيوتهم بحذرٍ، ويتجمعون قرب المسجد الحرام، وبعد أن انتهى ﷺ من تحطيم الأصنام، وقف عند باب الكعبة المشرّفة، وبعد أن حمد الله وشكره على فضله تلا بعضاً من آيات القرآن الكريم، ثم التفت

إلى عبدة الأصنام قائلاً: (ما تظنون أني فاعل بكم)؟ قالوا بصوت تخنقه العبرات ويغلب عليه الضعف (أخ كريم وابن أخٍ كريم)، لقد أسأنا إليك كثيراً يا مُحَمَّد، ولم نر منك إلاّ الخير، فأنت أخ كريم عطوف، ونطلب منك العفو والغفران.

قال النبي ﷺ : إنكم لم تعاملوني بالحسنى، كما يعامل المرء ابن بلده، لقد اتّهمتموني بالكذب والجنون، وأخرجتموني من داري وبلدي، ووقفتم منّي موقف الحرب والخصومة.

## اذهبوا فأنتم الطّلقاء

بدأ عبدة الأصنام يرتجفون لما سمعوا هذا الكلام، وجفّت حلوقهم وانعقدت ألسنتهم من الخوف، وأيقنوا أنّ يوم الانتقام قد أزف، وأنّهم سيلقون جميعاً جزاءهم، ويشربون من نفس الكأس التي جرّعوها للرسول وأصحابه، أذىً وتعذيباً وإذلالاً امتدّ لسنواتٍ.

أمّا الرسول الكريم، والذي لم يكن يفكّر

بالانتقام من أحدٍ، بل كان وحده بين هذه الجموع، يتطلّع إلى مستقبل الإسلام وصلاح أمر المسلمين، فقد تابع يقول: أمّا ما يعود إليّ، فإنّي سأنسى الماضي وأصفح عنك، (اذهبوا فأنتم الطّلقاء).

لم يكن أحد من عبدة الأصنام، ينتظر أن يسمع ما سمع، وأمام هذه العظمة والمحبّة والحلم، فقد غمرهم الإحساس بالخجل، إلى جانب الفرح والغبطة بعد أن أيقنوا بالنّجاة. وأعلن أكثرهم إسلامهم.

بعد أن أقام النبي ﷺ في مكّة أياماً، يرتّب أمورها وينظم شؤونها، وبعد أن عيّن لإرداتها رجلاً يمتاز بالعقل والحزم، قفل عائداً إلى المدينة.

## بين المسلمين والروم

بعد فتح مكة، أصبح الإسلام قوّةً كبيرةً، وحان وقت غروب شمس الطغيان، ومع انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وانتصارات المسلمين المتوالية في اليمن وحنين وغيرهما، خيّم القلق على قوى

الاستكبار، وكان الفرس والرّومان في تلك الأيام، أكبر دولتين على وجه الأرض، وتحت تصرّف كلّ منهما قوة نظاميّة كبيرة. كان الروم قد انتصروا حديثاً على الفرس، وغدوا أكثر إحساساً بقوّتهم وجبروتهم، وإذا بهم يفاجؤون بقوّة أخرى تقف في وجوههم و تتحّداهم، ألا وهي قوّة الإسلام.

كانت قوى الطاغوت تخشى أكثر ما تخشاه، الحركات الثورية، وخاصةً ثورة الفكر، لذا فقد صمّم المستكبرون الرّومان على القضاء على قوة الإسلام الوليدة، وبأسرع ما يستطيعون.

وصلت أخبار سير جيش للروم، قوامه أربعون ألف مقاتل، إلى المسلمين، وأنّه بلغ حدود الشام وانضمّت إليه بعض القبائل من سكّان الأطراف، وصلت هذه الأخبار إلى المدينة في وقت كان فيه الناس يعانون من نقصان الموادّ الغذائية، وهم لم ينجزوا بعد جمع محاصيلهم، لكنّ رجال الله يعرفون أنّ الذّود عن حياض الإسلام، لا يتقدّم عليه أمر آخر. فلم تمض

أيّام على صدور أوامر الرسول ﷺ بالاستعداد، حتى تحرّك ﷺ ووراءه ثلاثون ألفاً لم يكونوا قد أكملوا استعدادهم بعد، في اتجاه الجبهة، بعد أن ترك عليّاً عليه السلام في المدينة ليقوم مقامه في حمايتها والدفاع عنها قائلاً له: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي) وحين وصولهم إلى المواقع الأمامية، قرب تبوك، بعد أن تحمّلوا المصاعب والمشاق، لم يروا أثراً لجند الرومان، الذين كانوا قد تقهقروا داخل حدود بلادهم خوفاً من الهزيمة امام جيوش المسلمين الزّاحفة.

توقّف الرسول ومقاتلوه هناك فترةً من الوقت، وبعد توقيعه عدداً من معاهدات الصداقة مع القبائل من سكّان الأطراف، عاد مع جيشه إلى المدينة، وكانت أخبار الفتح قد سبقتهم إلى هناك فتجمع أهلها لاستقبالهم. انتشرت أخبار فرار الرّوم أمام جيش المسلمين انتشاراً سريعاً واسعاً في كلّ مكانٍ، وأحسّت القبائل التي كان الخوف شاغلها من قوى

المستكبرين من الفرس والروم، أنّ لها ظهيراً جديداً يعتمد على حمايته. فأبرموا مع المسلمين العهود والمواثيق. وغدت قوّة الإسلام أخطر عدوٍّ للمستكبرين، وأكبر ظهيرٍ للمستضعفين.

إنّ صرخات عمار بن ياسر تحت التعذيب، وأنين بلال الحبشيّ فوق صخور الصّحراء الملتهبة، ودم حمزة الزكي يسيل على أرض أحدٍ، ودماء المئات من الشهداء التي امتزجت مع بعضها، قد آتت كلّها ثمارها الآن، فأمثال عمار في هذا الكون فازوا بالنجاة، وأمثال بلال قد وهبوا الخلاص من ربقة الأسر، والدم الطاهر وثورة الشهداء المستمرّة عبر التاريخ، فجّرت الدّم يجري في شرايين أبطال الإسلام.

## يأيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك

في السنة العاشرة للهجرة، أتى أمر الله تعالى إلى رسوله ﷺ بأن يذهب للحجّ هذا العام، ويعلن ذلك لسائر المسلمين. واستجابةً لدعوته ﷺ تحرّك

الآلاف من كل فجٍ، متّجهين نحو مكّة، ليؤدّوا مناسك الحجّ بصحبة رسول الله ﷺ وكانت مناسك الحج لهذا العام قد بلغت الغاية في الجلال، ولما انتهت وعزم الناس على التوجّه إلى مواطنهم، وقبل أن يتفرّقوا كل إلى وجهته، أمر الرسول ﷺ الناس بالتوقّف في مكان يدعى (غدير غم)، ثم اعتلى مكاناً عالياً هيّئ له. وشرع يتحدث إليهم بأعلى صوته بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه بقوله: أيّها الناس، لقد دعيت وسألبّي قريباً. ونزولاً عند أمر الله سبحانه أوصيكم فاستمعوا، أيّها الناس إني راحل من بينكم، وتارك لكم وديعتين ثمينتين، إحداهما القرآن كتاب الله، والثانية أهل بيتي، واعلموا أنّهما لن يفترقا حتى يوم الدين. ثم أخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ورفعها قائلاً: (من كنت موالاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه).

استمع كل من كان حاضراً إلى بلاغ الرسول ووصاياه، وبايعوا عليّاً كخليفةٍ لرسول الله ﷺ لكنّ

ضعاف الإيمان سرعان ما يتناسون، وسرعان ما يبتعدون عن سبيل الله سبحانه، ويلتحقون بركب الشيطان.

## الساعات الأخيرة

مرض رسول الله ﷺ بعد رجوعه إلى المدينة بقليل، وكانت شؤون أمّته شغله الشّاغل، حتى وهو على فراش المرض، كان لا يدع فرصةً تمر دون أن يزوّد الناس بموعظة، أو يقدّم لهم نصيحةً، كان عليه الصلاة والسلام يريد أن تكون تكاليف المسلمين بعد وفاته واضحةً جليةً. أما أولئك الذين كانت تشغلهم المناصب والمقامات الرفيعة، فكانوا يحولون دون تحقيق ذلك، أجل فإنّ رسولنا الكريم قد عانى الكثير من قسوة أصحاب الغايات وعبيد المناصب، حتى في آخر لحظات حياته الكريمة. وفي حين كان علي وفاطمة وغيرهم من التابعين الأوفياء، يجلسون قرب وسادة الرسول الكريم، يذرفون الدموع حزناً عليه، كان جماعة آخرون يضعون الخطط، ويتوسّلون شتّى

أنواع المكر والخداع، وهم ينتظرون وفاة النبي ﷺ حتى يطبقوا بأيديهم على الخبز والماء والمنصب. إنهم أنفسهم أولئك الذين سابقوا الآخرين يوم (غدير خم) كي يباركوا لعليّ بخلافة رسول الله، وقد رأينا كيف نجحوا في مسعاهم. واستطاعوا أن يخدعوا البسطاء من الناس بألسنتهم، ويغسلوا أدمغتهم، فينسوا كلّ ما قاله رسول الله ﷺ في غدير خمّ، وما قدّمه من مواعظ ونصائح، إن في المسجد أو على فراش المرض، ينسون كلّ هذا، ويستمعون إلى نفر مالوا إلى الدنيا وباعوا أنفسهم للشيطان، حتى أنّهم لم يتورّعوا عن كسر ضلع فاطمة عليها السلام، بضعة الرسول ﷺ ، وجعلوا أميرالمؤمنين علياً عليه السلام يقيم في بيته سنواتٍ لا يبرحه، ومهّدوا لمملكة قريشٍ ومعاوية ويزيد واليزيديّين.

مضت أيّام، والمدينة يلفّها القلق، ويعمّها الحزن والأسى. كان العديد من أهلها يتجمعون حول بيت النبي ﷺ يذرفون الدّموع، ويدعون الله ليلاً ونهارا،

يرجون لنبيّهم السلامة. كان كلّ شيءٍ يشير إلى أنّ حادثاً جللاً سيقع. وأخيراً، ففي يوم الإثنين الثامن والعشرين من صفر، أسلم النبي ﷺ الروح إلى خالق الروح، حين كان مسنداً رأسه الكريم إلى صدر ابن عمه ووليّ عهده عليّ عليه السلام، وتم دفن جسده الطاهر في اليوم التّالي بيد عليّ عليه السلام.

رحل عليه الصلاة والسلام، وما زلنا بعد قرون من رحيله نسمع ترداد ندائه إذ يقول: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين. كتاب الله وعترتي أهل بيتي). صدق رسول الله.

يا رب امنحنا القدرة والتوفيق، حتى نعمل بوصية رسولك العظيم، وأوامر قرآنك الكريم، فنكون على خطا الأصحاب المنتجبين، من أنصار ومواليّ رسولك وأهل بيته.

آمين يا رب العالمين

## فاطمة الزهراء عليها السلام

**الاسم: فاطمة عليها السلام**

**اسم الأب: مُحَمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله**

**اسم الأم: خديجة**

**تاريخ الولادة: ٢٠ جمادي الثانية (٨ سنوات قبل الهجرة(**

**محل الولادة: مكة المكرّمة**

**تاريخ استشهادها: ٣ جمادى الثانية السنة العاشرة للهجرة**

**محل استشهادها: المدينة المنورة**

**محل دفنها: المدينة المنورة**

### فاطمة الزهراء عليها سلام الله

بسم الله الرحمن الرحيم

يذكرها المؤمن حين يذكر الطّهر والنّزاهة والفضيلة.

يذكرها المظلوم فيسلو وينسى ما يعاني، حين يذكر ما عانت الزّهراء من الظّلم، وما نزل بها من الأذى.

تذكرها الزّوجة الصّالحة حين تذكر حياتها مع أميرالمؤمنين عليه السلام فتتّخذها قدوةً ومثلاً.

تذكرها الأمّ حين تذكر ما قدّمته للعالم من أئمةٍ أبرارٍ معصومين، فتربّي أبناءها على نهجهم وسيرتهم.

يذكرها الأب حين يذكر كيف قام رسول الله صلى الله عليه وآله بتربيتها ورعايتها كأفضل ما تكون التربية والرّعاية.

تلك فاطمة الزهراء عليها سلام الله، والتي سنروي لكم قصّتها.

## امرأة فاضلة

يحسن بنا قبل البدء بقصة فاطمة عليها السلام ، أن نتذكر أمّها السيدة خديجة الكبرى.

كانت خديجة من أغنى نساء عصرها، وكان الكثيرون من كبار مدينتها يتمنّون الزّواج منها، طمعاً بثروتها، لكنّها أقدمت على عملٍ ملفتٍ للأنظار، فقد اختارت مُحَمَّداً الأمين زوجاً لها، من بين أعيان المدينة وأشرافها، رغم أنّه لم يكن من الأثرياء.

أثار فعل خديجة سكّان المدينة، نساءً ورجالاً، لكنّها لم تهتّم بهم، ولم ترجع عن قرارها.

لقد اختارت - في الحقيقة - أفضل الرّجال شريكاً لحياتها، لكنّ أكثر الناس كانوا يجهلون هذه الحقيقة، وكان هذا التصرف منها دليلاً على حسن إدراكها، فلا عجب إذن، أن تنشأ في أحضان امرأةٍ كخديجة، ابنة كريمة كفاطمة.

## العزلة

عاش مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وخديجة حياةً هادئة مطمئنّة سنين عديدة، حتى بعث صلى الله عليه وآله نبياً، وكانت خديجة

أوّل امرأة آمنت به ودافعت عنه. ونتيجةً لذلك فقد أظهر أعيان المدينة وأشرافها عداوتهم لمحمدٍ وخديجة، وفرضوا عليهما عزلةً خانقة.

تحمّلت خديجة هذه المصاعب في سبيل الله ورسوله، وشاركت محمّداً ﷺ آلامه ووحدته، وصرفت عنه من الهموم ما استطاعت، وضحّت بالكثير قربةً إلى الله تعالى، فكانت بحقّ زوجةً تقيّةً ورعة، تعرف الله حقّ معرفته، وتتوجّه إليه في كلّ شيء.

## الولادة

ظهرت في الأفق تباشير، آذنت بقرب انتهاء العزلة، حين شعرت خديجة بحركةٍ في أحشائها، تبشّر بوليدٍ جديد.

وفي ليلتها الأخيرة من الحمل، وآلام الولادة تشتدّ بها، بعثت إلى القوابل من قريشٍ فأبين أن يأتينها ويساعدنها.

عند ذاك وقع أمر عجيب، هو في نظر الناس عسير، لكنّه على الله يسير، فقد شعّ النور فجأةً في غرفة خديجة، وظهرت أربع نسوةٍ، تحيط بوجوههنّ هالات من النور، وجلسن إلى جانبها بعد أن ألقين عليهنّ السلام، وبادرن بالقول بلطف: (لا تخافي يا خديجة، إنّنا ضيوف من عند

الله). هدأ روع خديجة بعد خوف، وسكنت نفسها، ووسط هالةٍ من النور، وضعت وليدتها فاطمة.

سيعجب الكثيرون لو عرفوا أنّ النّسوة، لم يكنّ إلا: (سارة) زوجة إبراهيم و (آسية) زوجة فرعون و(مريم) أمّ عيسى و(كلثم) أخت موسى. لكنّ العجب العجاب هو من أولئك الذين ما زالوا يجهلون أبعاد عالم الإنسان، أو يغفلون عن قدرة الله الباهرة، يا ليتهم كانوا يفقهون.

## فاطمة عليها السلام

نعم هكذا ولدت فاطمة عليها السلام ، وفي أحضان الرسول وخديجة كبرت وترعرعت. وكان لرسول الله غير فاطمة بنات ثلاث: رقيّة وأمّ كلثوم، اللّتان تزوّجتا من (عتبة) و (عتيبة) ولدي أبي لهب، وعاشتا زمناً مع (أمّ جميل) امرأة أبي لهب، وأخت أبي سفيان. والثالثة هي زينب، زوجة (العاص) أحد أعداء الرسول. وقد طلّقت رقيّة وأمّ كلثومٍ من زوجيهما، بأمرٍ من أبي لهب، وعادتا ليزوّجهما الرسول، الواحدة بعد الأخرى من (عثمان) حيث توفّيتا في بيته، دون أن تنجبا منه.

والابنة الوحيدة التي بقيت في بيت الرسول صلى الله عليه وآله هي

فاطمة عليها السلام، والحقّ أنّ فاطمة كانت نموذجاً آخر.

باختصارٍ نقول، إنّ فاطمة كانت بضعةً من رسول الله، أخذت عنه الكثير من صفاته الحميدة، ومزاياه النّادرة.

ما إن بدأت أيّام الشّدة بالزوال، وأيقن الناس من نجاح الدّعوة، حتى تهافت الكبار والأعيان، على الرسول يطلبون يد وحيدته، طمعاً بالمقام العالي، بالقرب من رسول الله. لكنّه كان معروفاً تمام المعرفة أنّ فاطمة هي لعليّ. فعليّ هو ابن عمّ رسول الله، ورفيقه ونصيره، صاحب المكانة العالية من الإيمان والعلم والتقوى.

ودارت الأيام، وادّخر القدر الواحد منهما للآخر، وشاء لهما أن يلتقيا كما يلتقي بحران كبيران. ليقدّما للعالم أطهر اللآلىء، (مرج البحرين يلتقيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الرحمن - ١٩ و ٢١.

في أحد الأيام، وفي جمع ضمّ عدداً من كبار المسلمين، في مسجد الرسول، دار الحديث حول فاطمة عليها السلام وحيدة الرسول. قال أبوبكر، وكان من بين الحضور: (لقد تقدّم الكثيرون من كبار المهاجرين والأنصار يخطبون فاطمة، لكنّ رسول الله لم يعطهم جواباً شافياً، وقد سمعت

أنّ عليّاً لم يتقدّم لخطبتها، وأعتقد أنّه لو فعل، لما ردّ الرسول طلبه). قال سعد بن معاذ، رئيس قبيلة الأوس: (هلّموا إلى عليّ، عسانا بتوفيقٍ من الله، نحقّق الخير في مسعانا).

خرج الصحابة من المسجد في طلب عليّ، فوجدوه خارج المدينة، وكان يسحب ماءً من بئر قريبة بواسطة جمله، ليروي بستاناً يملكه أحد الأنصار، وهكذا كان عليّ يعمل في جلب الماء وسقاية الأرض. ولما رأى الصحابة قادمين نحوه، طرح معوله جانباً، ووقف ينتظر لقاءهمبعد السلام، خاطبه أبوبكر قائلاً: (أخي يا عليّ، لقد اجتمع فيك كلّ ما يرضي الله والناس، وقد حان الوقت لأن تجد لك زوجة، ولعلّ فاطمة وحيدة الرسول تكون من نصيبك، لأنّ كلّ من راح يخطبها لنفسه، لم يلق من الرسول قبولاً، ويبدو لي أنّ الله ورسوله قد اختارا فاطمة لك أنت).

ما إن سمع عليّ هذا الكلام، حتى تحرّك في نفسه أمر كان يكتمه، ويطوي عليه قلبه. فقد كان يتمنّى التّقرّب إلى رسول الله بخطبة ابنته فاطمة لنفسه، غير أنّ الحياء وخلوّ يده من مهرٍ يقدّمه، كانا يمنعانه من الإقدام، لكنّه الآن عزم

فتوكّل، وتوجّه إلى بيت الرسول ﷺ ، وصارحه بما في نفسه.

أشرق وجه الرسول لدى سماعه طلب عليٍّ وقال: (يا عليّ، قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها. ولكن، على رسلك حتى أخرج إليك).

دخل النبيّ إلى ابنته وفاتحها بالأمر قائلاً: (يا فاطمة، إنّ علياً بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين)؟ فسكتت ولم تولّ وجهاً، ولم ير فيها رسول الله ﷺ كراهةً فقام وهو يقول: (الله أكبر، سكوتها إقرارها).

## درع مهر عروس

خرج الرسول إلى حيث ترك علياً، وبادره والسّرور يعلو محيّاه قائلاً: (هل معك شيء أزوّجك به) ؟ قال عليّ: (فداك أبي وأمّي ، والله لا يخفى عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي)(الجمل الذي ينضح ويسحب به الماء( قال النبيّ: (أمّا سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على

نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوّجتك بالدّرع، ورضيت بها منك، بع الدّرع وأتني بالثّمن).

باع عليّ الدّرع بأربعمائة وثمانين درهماً، وجاء بالدّراهم إلى النبي وطرحها بين يديه، وتمّ الوفاق على أن يكون ثمن الدرع صداقاً لأشرف فتاة، وأفضل أنثى في الكون، هي سيدة نساء العالمين.

قسم النبي المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء العطر والطّيب. وثلثاً تركه أمانةً عند أمّ سلمة، ثم ردّه إلى عليّ قبيل الزّفاف، ليستعين به على تهيئة الطّعام.

أعطى النبي مقداراً من المال لعمار بن ياسر وسلمان وآخرين قائلاً له: (اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها).

تمّ شراء لوازم البيت، وكانت عبارةً عن: قميصٍ بسبعة دراهم، وغطاءٍ للرأس بأربعة دراهم، ودثارٍ (ما يتغطى به النائم( من صنع خيبر، وسرير من الخشب. وفراشين من ألياف النخيل والصوف، وأربع قصاع للطعام من صنع الطائف، وغطاءٍ من الصوف، وحصيرٍ ومطحنةٍ

يدوية، ووعاء للحناء، وآخر نحاسيّ، وقربة ماء وقدر للحليب، وإبريق للماء، وكوزين من الفخّار، وأشياء أخرى من هذا القبيل، جيء بها إلى الرسول فتفحصها وأعرب عن رضاه بهذا الجهاز المتواضع قائلاً: (بارك الله لأهل البيت).

## بعد شهر

اجتمع لدى النبي أناس من قريش فقالوا: إنّك زوّجت علياً بمهرٍ خسيس، فقال ﷺ : (ما أنا زوّجت عليا، ولكن الله زوجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى).

ومضى شهر، وفاطمة ما تزال في بيت أبيها، أما علي، فكان بعد أدائه الصلاة مع الرسول، يمضي إلى بيته، دون أن يعود إلى الموضوع ثانية. وفي أحد الأيام التقته أم أيمن ومعها بعض النسوة، وسألته إن كان يرغب في أن تتحدث إلى النبي وتفصل موضوع الزواج معه، فرد بالإيجاب مرحباً بمسعاها. فقصدت رسول الله مع صاحباتها وخاطبته قائلة: يا رسول الله، لو أنّ خديجة باقية لقرت عينها بزفاف

فاطمة، وإنّ عليا يريد أهله، فقر عين فاطمة ببعلها، واجمع شملهما، وقر عيوننا بذلك، فقال ﷺ :(فما بال علي لا

يسألني ذلك)؟ قالت: الحياء منك يا رسول الله. فقال ﷺ : انطلقي إلى علي فأتيني به. وحضر علي وجلس مطرقاً نحو الأرض حياءً، فقال له: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟ قال: نعم، فداك أبي وأمي قال: نعم، وكرامة

## مجلس العرس

طلب النبي إلى أم سلمة أن تجهز غرفة لفاطمة، كما طلب من النسوة أن يتزيّن ويزين فاطمة، فاهتمت كلّ منهن بعمل. فواحدة صففت شعرها، والثانية اهتمت بثيابها، والثالثة رشّتها بالعطور.

كما تم تحضير الطعام، فذبحت شاة وطبخت، وحسر النبي عن ذراعيه، وجعل يفرك التمر بالسمن، بمثابة الحلوى بينما أسرع علي إلى المسجد، وكان يغصّ بالمسلمين فخاطبهم بصوت عال قائلاً: أيها الناس، أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت مُحَمَّد ﷺ .

توجه جميع من في المسجد إلى بيت النبي، وكان عدد من لبى الدعوة يفوق عدد الذين حضروا معركة بدر قبل بضعة أيام.

بعد انقضاء قسم من الليل، وكان الضيوف قد تناولوا

العشاء وغادروا البيت، التفت الرسول إلى نساء بني هاشم، ونساء المهاجرين والأنصار وطلب إليهنّ أن يمشين برفقة فاطمة، حتى يوصلنها إلى بيت علي، وأوصاهنّ بالشدو والجهر بالتكبير، محذراً إياهن من ترديد كلمات لا ترضي الله.

## في بيت عليّ عليه السلام

ما إن تجهز النسوة للمسير، حتى أركب الرسول بنفسه ابنته على بغلته الشهباء، وسلم زمامها إلى سلمان الفارسي، وسار خلفهما حمزة وعقيل وجعفر، وغيرهما من أقرباء الرسول، وقد امتشقوا سيوفهم يمشون الهوينا إلى بيت علي، بينما كانت زوجات النبي، ونساء المهاجرين والأنصار، يمشين وهنّ ينشدن الأهازيج في حين قدمت كل من نساء النبي أبياتاً من الشعر، هديةً للعروس، وكانت أبيات أم سلمة هي الأفضل والأبلغ. وهكذا حتى وصل الموكب إلى بيت علي، وتعالت صيحات التكبير، وقام الرجال بمصافحة علي مباركين، ثم نادى النبي علياً إليه، وأخذ يد فاطمة ووضعها في يد علي قائلاً: (بارك الله في ابنة رسول الله). ثم دعا لهما قائلاً: (اللّهم بارك فيهما، وبارك عليهما ...

وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

وقام أصحاب الرسول بتقديم الهدايا إلى العروسين الجديدين. وهكذا تم زواج علي من فاطمة، بعد أيامٍ من معركة بدر، و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) . الحديد - الآية ٢١.

## الحياة الزوجية

منذ ذاك، عاش علي وفاطمة في بيتهما المتواضع، عيشة ملؤها الحب والهناء، وكان النبي في كل مناسبة يزورهما ويجلس إليهما، ويوصيهما بالصبر والاستقامة، ومما قاله لابنته يوماً: (إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك والآخر زوجك).

كانت فاطمة زوجة صالحة، فلم تكن لتحزن إن غاب زوجها للجهاد في سبيل الله، وما كان أكثر غيابه كانت تهيء له عدة الحرب ولوازم السفر. كما كانت تبث فيه الشجاعة، وتشدد من عزيمته وعدم تهيبه من الموت في سبيل الله. وما أحرى بكل زوجة مسلمة أن تجعل من بنت الرسول قدوةً حسنة، وأسوةً صالحة.

كانت تعيش مع علي عليه السلام في جو تكتنفه القداسة

والنزاهة. وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش، وكانت عليها السلام تعرف لزوجها مكانته العظمى، ومنزلته العليا عند الله تعالى، وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها، وتطيعه كما ينبغي، لأنّه أعز الخلق إلى رسول الله، وأخوه وخليفته ووصيه،

وكان علي عليه السلام يحترمها ويجلّها، لا لأنّها زوجته فقط، بل لأنها أحب الخلق إلى رسول الله، نورها من نوره، وصبرها من صبره، وتواضعها من تواضعه، لأنّها سيدة نساء العالمين.

لقد عاشت حياةً لا يعكرها الفقر، ولا تغيرها الفاقة (الفقر الشديد) كانت تقوم بأعمال البيت، وتطحن القمح والشعير حتى تدمى يداها الطاهرتان، وتعجن وتخبز. كانت الزوجة المسلمة المثال.

كانت إلى جانب هذا لا تنسى واجبها في الجهاد في سبيل الله، ففي وقعة أحد وقفت فاطمة تغسل جبين أبيها الطاهر، وتبلسم جراحات علي، لم تكن - كالكثير من النساء - تبدي أي عجز أو حزن أو بكاء أيام الشدة، لأنّها كانت امرأة عملٍ وجهادٍ، لا امرة عويلٍ وبكاء.

## أجر الرسالة

في السنة الثالثة للهجرة، رزقت فاطمة ولدها البكر وأعطاه الرسول اسم (حسن)، كما رزقت ابنها الثاني في السنة التالية، وسمّي (حسيناً) أي (الحسن الصغير). وكان سرور النبي بمقدم هذين الولدين عظيماً، فقد كانا حقاً، بمثابة أجرٍ للرسالة، وتعويضٍ عن المشاق، التي تحملها رسول الله، في سبيل هذه الرسالة. وممّا قاله صلى الله عليه وآله بحقهما: (الحسن والحسين، ابناي وريحانتاي، وسيدا شباب أهل الجنة).

## التطهير

في أحد الأيام، وبينما كانت فاطمة وعلي والحسن والحسين في بيت أم سلمة، نزل ملاك الرحمن، وتلا هذه الآية: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت، ويطهّركم تطهيراً) الأحزاب - ٣٣. ولما نزلت هذه الآية تناول النبي كساءً ودخل تحته، مع علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال: (اللّهم إنّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، وحامتي، لحمهم لحمي ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن

سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحبّ لمن أحبهم، إنّهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً).

وكانت حياتهم فعلاً منزهة عن الخطأ والزّلل، وكانت خصالهم العظيمة آيةً من آيات الله، للناس جميعاً، عالمهم وجاهلهم، ولكنّ أكثر الناس لا يتفكّرون.

## غضب فاطمة من غضب الله

من هنا كان اهتمام النبي بفاطمة، وعنايته بها، لا لكونها ابنته - والرسول أجل من أن يهتم بأحدٍ لمجرد النسب - بل لأنّها كانت إنسانةً تعرف الله حق معرفته، وكانت تتجلّى فيها صفات الرسول الأكرم، ولأنّ الله سبحانه أشار إلى أنّ فاطمة الطاهرة المطهرة، ستكون أمّاً لأحد عشر إماماً معصوماً، وقد بين الرسول مرّاتٍ هذه المزايا ونوّه بها، قال يوماً أمام جمع من كبار المسلمين، وكما ورد في صحيح البخاريّ: (فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني). وخاطبها مرّةً قائلاً: (يا فاطمة، إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك).

## ما بعد الأب

شارفت الأيام السعيدة على نهايتها، إذ مرض رسول الله مرضاً شديداً، وما لبث أن أطبق عينيه الكريمتين وانتقل إلى جوار ربّه، وبدأت رحلة فاطمة مع المصاعب والآلام، لأنّ كل شيءٍ تغير، ومرة واحدة، بعد رحيل النبي الأكرم.

فقد عين جماعة من الصحابة أبابكر خليفة، وبايعه أكثر الناس إثر ذلك، أمّا علي عليه السلام، فكان يرى بعد ارتحال الرسول، أنّ الإسلام بحاجةٍ ماسةٍ لوحدة المسلمين ورص الصّفوف، لذا فقد اختار الصّمت، ولم يطالب بحقّه في الخلافة، حرصاً على هذه الوحدة، والتي ما يزال الإسلام بحاجةٍ إليها، وسيبقى إلى يوم الدّين.

لكنّ فاطمة عليها السلام. كانت ترى من واجبها أن تنبّه الناس إلى الخطأ الذي وقع، فقصدت مسجد أبيها الرسول، حيث كان الأنصار مجتمعين إلى الخليفة، وهناك أوضحت أمام الملإ حق الإمام عليّ عليه السلام. وحذّرت الناس من سوء العاقبة إذا حلّت الفرقة بينهم محلّ الوحدة، التي كانت أيام رسول الله. فالمستقبل ينذر بشر كبير، إن اختار الناس السكوت عن الحق. كما أوضحت أنّ مزرعة (فدك) تخصّ

آل الرسول، وليست ملكاً لعامة المسلمين، كما قيل، وابنة الرسول الكريم وبضعته أجلّ وأنزه من أن تستولي على ما ليس من حقّها. إنّه للعجب العجاب، أن تتّهم بنت رسول الله بهذه التهمة الظالمة أليست ممن طهّرهم الله وأذهب عنهم الرجس؟ أليست ممّن (يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) (الدهر – ٨).

(فبايّ حديثٍ بعده يؤمنون)؟ (الأعراف – ١٨٥).

## فاطمة عليها السلام على فراش المرض

بعد هذه المتاعب الشديدة، ارتمت فاطمة في أحضان المرض. واختارت طريق الصمت والاعتزال، فجاء بعض نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها، ولما سألنها عن حالها أجابت بعد أن حمدت الله وصلّت على أبيها: (أصبحت والله عائفةً لدنياكنّ، قاليةً لرجالكن وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه وتنمّره في ذات الله عزّ وجل (ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أم من لا يهدّي إلاّ أن يهدى، فما لكم، كيف تحكمون) ؟ (يونس – ٣٥)

لما سمع الرجال قولها، جاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء،

لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا إلى غيره فقالت: (إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم).

## الرسالة الأخيرة

لما اشتدت وطأة المرض على الزهراء قالت لزوجها. (يا ابن عم، إنّه قد نعيت إلي نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلاّ أنني لاحقه بأبي ساعةً بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي). قال علي: (أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله قد عزّ علي مفارقتك وفقدك والله لقد جدّدت علي مصيبة رسول الله أوصيني بما شئت فإنّك تجدينني وفياً، أمضي كلّ ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري). قالت: (ادفني في الليل وعفّ موضع قبري، ولا تشهد جنازتي أحداً ممّن ظلمني).(يا ابن عمّ، إن أنت تزوّجت امرأةً بعدي فاجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة، يا أبا الحسن، ولا

تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما، واليوم يفقدان أمّهما، فالويل لأمّةٍ تقتلهما وتبغضهما).

ثمّ قامت عليها السلام، فاغتسلت وتمدّدت في فراشها، وأسلمت الروح مستبشرةً بلقاء أبيها وحبيبها رسول الله.

وفقد الإمام بفقدها زوجةً صالحةً، وأمّاً حنوناً طاهرة، وشريكة حياةٍ، في ريعان الشباب ونضارة الحياة.

كانت هذه هي الرسالة الأخيرة للزهراء عليها السلام، وكانت بحقّ درساً بليغاً، وعبرةً للمعتبرين. فقد اختارت أن تشيع وتدفن ليلاً في قبر مجهول، كي لا يشترك في جنازتها من تلوّث بالانحراف. واختارت بعملها هذا أن تسجّل اسمها في سجل المظلومين، ليكون رمزاً للظلم والحرمان على مدى الأزمان.

علم أهل المدينة بموت بنت الرسول، فعمّ الحزن الناس، وتقاطروا إلى بيتها للصلاة عليها وتشييعها، وكم كانت صدمةً مؤلمةً لهم حين علموا أنّ دفنها قد تمّ ليلاً، بعد أن صلّى عليها عليّ ونفر من أصحابه.

## وكانت هذه قصّة فاطمة عليها السلام

نعم إنّها قصة فاطمة الكبرى، فاطمة الطاهرة الزهراء.

إنّها الابنة الوحيدة التي بقيت من أثر الرسول.

إنّها التي أنجبت لأمّة الإسلام حسناً وحسيناً وزينب الكبرى.

إنّها الزوجة التي وقفت مع زوجها في خندقه.

إنّها بضعة ومثال من رسول الله، وعظمته وفضائله.

إنّها أم الحسن والحسين، اللذين في كلّ منهما عليّ آخر.

فاطمة التي كانت أمّاً لكلّ القادة الأبرار.

فاطمة التي علمها من علم الرسول، ومحبّتها من محبّته، وغضبها من غضبه.

فاطمة التي طهّرها الله سبحانه، فكانت الطهر في القول والفعل.

سلام على من قدّمت للإسلام خير ما تقدّمه امرأة.

سلام على من هي المثال والقدوة في حياتها وجهادها واستشهادها.
وسلام على كل من سار سيرتها، ونهج نهجها، وخطا في درب الحق على خطاها.

## الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام

**الاسم : الإمام الحسن عليه السلام**
**اسم الأب: الإمام علي عليه السلام**
**اسم الأمّ: فاطمة الزّهراء عليها السلام**
**تاريخ الولادة: ١٥ رمضان السنة الثالثة للهجرة**
**محل الولادة: المدينة**
**تاريخ الاستشهاد: ٢٨ صفر سنة ٥٠ للهجرة**
**محل الاستشهاد: المدينة**
**محلّ الدّفن : المدينة (البقيع)**

### الجاهلية والإسلام

باسمه تعالى

كانت الأمور في العصر الجاهليّ تأخذ طابع الجاهلية في كلّ شيءٍ، فمن كان الأقدر على الظلم والجبروت؛ وكان أطول باعاً في المكر والخداع؛ كانت له السيطرة الكاملة، وتمتّع بالاحترام والإجلال، مخافة ظلمه وبطشه.

وكانت قيادة مكّة والجزيرة العربيّة في العصر الجاهليّ، معقودة اللّواء لأبي سفيان وعائلته بني أميّة. فمعاوية وأخوه يزيد الأول، وأبوجهل وأبو لهب، وغيرهم من أعوانهم؛ كانوا القائمين على الأمور، في مكّة وفي غيرها من الأرض العربيّة.

وبعد أن ظهر الإسلام بنوره، وانحسرت الجاهليّة بظلماتها، انقلب كلّ شيءٍ، فتبدّلت القيم والمقامات وأضحى عاليها سافلها، فارتفع وعلا من كان متواضعاً، وانحدر وذلّ من كان متعالياً، وبتبدّل المفاهيم تبدّلت مراتب الناس، فسقط الأعيان

والكبراء وطواهم النسيان، بينما ارتفع وسما كلّ ما هو إنسانيّ، وغدا موضع اعتبارٍ وتقدير، وهكذا فقد تسنّم الرسول ﷺ وأهله وأصحابه الصالحون أعلى مقام.

بعد هذا الانقلاب الكبير؛ وبعد ظفر حزب الله وأهل الإيمان، وانكسار شوكة حزب الجاهليّة والشرك؛ اضطرّ أبوسفيان ومعه بنو أميّة إلى التسليم والقبول بقيادة رسول الله ﷺ ، وذلك بعد فتح مكّة. لكنّ القلوب السّوداء بقيت على سوادها، كما بقيت على حالها عداوتهم الراسخة للرسول وأهل بيته والمؤمنين.

## بعد الرسول

وبعد أن أغمض الرّسول ﷺ عينيه، وارتحل عن هذا العالم، بقي أبوسفيان ومعه حزب الكفر والنّفاق على هدوئهم، فنفاقهم كان في مأمن من الافتضاح، وكان كلّ همّهم ألاّ تقع أسباب القدرة الماليّة والقدرة السياسية بين أيدي أهل البيت، وكانوا يسعون أن تبقى هذه القدرات حكراً على غيرهم،

ونجح مسعاهم ذاك؛ ومن هذا القبيل استأثر معاوية بالهيمنة على دمشق وحمص وفلسطين والأردن، جمع بين يديه أسباب الثّروة والقوّة، وغدا مشهوراً في كافّة أنحاء العالم الإسلاميّ. وبعد مقتل عثمان، ومبايعة عليّ صهر الرسول وابن عمّه، وأبي الإمامين الحسنين بالخلافة، قام المنافقون وأهل الباطل، يرفعون لواء العداء وراية الخلاف من جديدٍ، وشهروا سيوفهم في وجه الإمام عليه السلام، في حروب الجمل وصفّين والنهروان، وكانت مناسباتٍ جمعت أعداء الإسلام وأهل الباطل، وورثة الجاهليّة، إلى جانب معاوية بن أبي سفيان.

وبين مدّ وجزر في القتال، وأخذٍ وردّ في الجدال بين عليّ عليه السلام ومعاوية، اجتمع نفر من الأغبياء، الذين أوهمهم غرورهم بأنّهم قادرون على علاج ما يشكو منه الناس، وإصلاح أمور المسلمين، وقرّروا أنّ علّة ما يعاني منه المسلمون تعود إلى ثلاثيّ خطر، هو معاوية وعمرو بن العاص وعليّ، وأنّه ليس من حلّ يضمن الخلاص للمسلمين سوى القضاء على ذلك الثلاثيّ دفعةً واحدةً. ونتيجةً لتفكيرهم السّقيم

استشهد الإمام عليه السلام ذلك القائد الورع العادل، بينما فتح الطريق واسعاً أمام الآخرين.

## عهد الحسن عليه السلام

في ذلك العهد، حين كانت قيادة الناس وإدارة الأعمال بيد أعوان معاوية، تسلّم الإمام الحسن عليه السلام الخلافة، وكان عليه أن يواجه أسوأ القادة الذين كانوا قد تسلّموا مناصبهم في ذلك الحين، وجلّهم من بني أميّة، وقد كانوا من سنواتٍ طويلة في انتظار هذه المناصب. ليخضموا مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع.

كانت خلافة الإمام الحسن عليه السلام في ذاك العهد، تغطّي أقساماً واسعةً من العالم الإسلامي، تشمل فارس وخراسان، واليمن والحجاز، والكوفة والعراق. وكانت مناطق يسودها القلق والاضطراب، رغم أنّ أهلها يدينون له بالطّاعة.

أدرك الإمام منذ الأيّام الأولى لخلافته أن معاوية يضمر له السّوء ويستعدّ لحربه. فبعث بعددٍ من رسله إلى حكّام المدن والولايات، يطلب منهم الاستعداد

والتأهّب للقتال، كما أرسل إلى معاوية كتاباً يلقي عليه فيه الحجّة، وينصحه ويبصّره بعواقب أعماله. ويبيّن فيه حقّه وجدارته بالخلافة. وأنّ الحرص على الإسلام ووحدة المسلمين يقتضي البعد عن الحرب والخصام، ويدعوه إلى أن يستجيب لدواعي العقل وفروض الطّاعة، وألاّ تأخذه العزّة بالإثم، فيورد نفسه موارد الهلاك، ويورد الأمّة الإسلامية موارد الفتنة والخلاف، ثمّ يتوعّده أخيراً بالقتال إن لم يستجب، حتّى يحكم الله بينهما.

ولكن أين معاوية من هذه النّصائح؟ فالرجل لا يتطلّع إلاّ إلى الحكم والرّئاسة، ولا يتردّد - في سبيل الوصول إليهما - من الإقدام على أيّ عمل، مهما كان عمله باطلاً وبعيداً عن الحقّ. وبدلاً من أن يستجيب لنصائح الإمام، فقد أرسل جواسيسه - خفيةً - إلى الولاة والقادة - يمنّيهم بالأموال والعطايا، والجاه والمناصب، إن هم ابتعدوا عن الإمام ووقفوا إلى جانبه هو.

قبل الكثيرون من أعيان تلك الأيّام عروض معاوية وإغراءاته، ونقضوا عهودهم مع الإمام

الشرعيّ، وانضمّ بعضهم علناً إلى معسكر معاوية، كما عرض عليه بعضهم الآخر أن يلقوا القبض على الإمام ويرسلوه إليه أسيراً لكنّ معاوية الدّاهية المخادع، طلب إليهم أن يبقوا كما هم عليه، حتى إذا اندلع القتال، انقلبوا على الإمام وخذلوه.

ومضت شهور اشترى معاوية خلالها بأمواله وهداياه كثيراً من زعماء القبائل، ممّن اعتاد على قبول الأموال والرّشاوي، وممّن هو على استعداد لبيع نفسه ودينه وضميره بثمنٍ بخسٍ. لقد أدرك أولئك الزّعماء أنّ طريق الإمام هو طريق أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام ، وأنّ الطريق الآخر هو طريق المغانم والكسب الوفير، فاختاروه، وباعوا دينهم بدنياهم، وبأبخس الأثمان !!

## الخيار بين الدين والدنيا

تحرّك معاوية بجيش كبيرٍ نحو الكوفة معقل الإمام عليه السلام . وكان الإمام يسعى بدوره لدفع الكوفة إلى الجهاد، ويلقى في سعيه العناء والتعب، لأنّ القليلين كانوا على استعدادٍ لذلك، وكانوا فرقاً لكلّ

منهم رأي مختلف، وإنّ جيشاً يجري تجميعه من مثل هؤلاء، لهو جيش عاجز عن خوض حربٍ جدّيّةٍ وجهاد صادقٍ.

عيّن الإمام عليه السلام ابن عمّه عبيد الله بن عبّاسٍ لقيادة جيشه، ونحن نعلم أنّ عبيد الله هو من قريش، يعرفه جميع قادة الجيش وزعماء القبائل ويحترمونه ويطيعون أوامره. وكان من أوائل الذين بايعوا الإمام الحسن عليه السلام، بالإضافة إلى أنّ قلبه كان يطفح كرهاً وعداوةً لمعاوية، الذي قتل أبناءه.

بعث الإمام بعبيد الله على رأس جيشٍ من اثني عشر ألفاً نحو معاوية، بينما توجّه هو بجيش كبير نحو المدائن، وأقام معسكره هناك؛ كجزءٍ من خطّةٍ للتّغلّب على جيوش معاوية الجرّارة.

لم يكن معاوية قد نسي مرارة حرب صفّين، ولا تزال ذكرى سيوف أصحاب عليّ عليه السلام تصيبه بالارتجاف؛ لذا فقد صمّم على أن يتوسّل الحيلة والخداع في حربه هذه؛ فأرسل موفداً إلى عبيد الله خفية يعرض عليه ألف ألف درهمٍ (مليون درهم)، إن قبل أن ينفض يديه من هذه الحرب، على أن يدفع

له نصف المبلغ في معسكره إذا أتى إليه، والنصف الآخر في الكوفة.

بقي عبيد الله أيّاماً وهو حائر في أمره، فهو يعلم أنّ قلّةً من الناس قد استجابوا لدعوة الإمام، بينما يقود معاوية جيشاً لجباً، وتصوّر أنّ جيش معاوية سينتصر لا محالة، فلم التردّد؟ والعرض فيه إغراء كبير؟

صمّم عبيد الله أخيراً، واتّخذ قراراً ملؤه الخجل والعار؛ وفي منتصف تلك الليلة. انسحب مع مجموعةٍ من أعيان الجيش وقادته نحو معسكر معاوية لقد اختار أن يبيع الله ورسوله وإمامه ودينه بثمنٍ رخيصٍ، وأن يفوز بوصمة عارٍ لن تفارقه إلى الأبد.

اجتمع الناس لصلاة الصّبح. وانتظروا عبيد الله كي يؤمّهم في الصلاة، حيث من المقرّر أن ينطلقوا بعد الصلاة إلى القتال. لكنّ انتظارهم ذهب عبثاً، فعبيد الله لم يحضر إلى الصلاة ثم عرفوا الحقيقة إذ سمعوا منادياً من معسكر أهل الشام يقول: أيّها الناس؛ تفرّقوا وعودا إلى بيوتكم، فإنّ عبيد الله وأنصاره في معسكر معاوية، وقد اختاروا الصّلح على

الحرب، فلا خير في قتال الإخوة

كان عبيد الله الرجل الأوّل بعد الإمام في إمرة الجيش. وكانت خيانة هذا الرجل (الكبير) وهذا (الفقيه) المعروف، باعثاً على تخاذل الكثيرين، كما خدعٍ آخرون بدعوة السلام الكاذبة، وشرعوا يتفرّقون كلّ في اتّجاهٍ.

أحسّ جماعة من أنصار الإمام المخلصين بالخدعة، وحاولوا إعادة المتخاذلين ولمّ الصّفوف، لكنّ محاولتهم باءت بالفشل. وبقيت قلّة صادقة الإيمان ثابتةً في موقفها، وقد نذر أفرادها أنفسهم للموت في سبيل الحقّ، وأرسلوا إلى الإمام يطلبون إمدادهم بالرّجال.

كان الفارّون والمتخاذلون يتّجهون نحو المدائن، وينشرون في طريقهم أخباراً كاذبةً مفادها أنّ جيش معاوية قد انتصر على طليعة جيش الإمام، وغدت هذه الأنباء عذراً لأولئك الذين خرجوا مع الإمام، رياءً وعلى كرهٍ منهم، وحجّةً تذرّعوا بها في تخاذلهم وعودتهم إلي الكوفة. إنّ القصّة تعيد نفسها، قصّة الخوارج مع أميرالمؤمنين عليه السلام ، قصّة أولئك الذين

يخذلون إمام زمانهم، لا بل يقتلونه، فواعجباً يدّعون أنّهم حماة الإسلام والحقّ، ثمّ يفتحون الطريق واسعاً أمام أعداء الإسلام والحقّ

القصّة تعيد نفسها اليوم في صورة امتحانٍ كبير، يتمّ فيه الفرز جيّداً، فالمنافقون ضعاف النفوس عادوا أذلّةً إلى بيوتهم، والأصحاب الأوفياء الصادقون ثبتوا في مواقعهم آباةً أعزّة، وطريق الشهادة أمامهم واضح مستقيم لا عوج فيه.

## الخيار الصّعب

لم يبق أمام الإمام الآن غير طريقين لا ثالث لهما، فإمّا القتال والتّضحية بأولئك الأوفياء المخلصين، وإمّا الرّضوخ لشروط الصلح، والصبر على الألم، طريق صعب لكنّ فيه خلاصاً لأولئك الأصحاب البررة من قتل لا طائل تحته، واختار عليه السلام وقف القتال على شروطٍ، اختار بقيّة عليّ ما اختاره أبوه - عليهما السلام - قبل خمس وعشرين سنةً، ونفض يديه - مكرهاً - من الاحتكام إلى القتال.

كان هذا اليوم - والحقّ يقال - أكثر أيّام المسلمين

خيبةً ومرارةً، كان من السّهل اليسير على الإمام أن يأمر بمتابعة القتال، فيقاتل مع أصحابه حتى يقتلوا، إنّه ابن عليّ عليهما السلام ، وليس هو بالذي يخشى الموت، لكنّه كان يدرك جيّداً أنّه لن يقتل حتى يتقدّمه أهله جميعاً إلى القتل، وأنّ أهله أيضاً لن يقتلوا حتى يسبقهم إلى الموت أنصارهم، دون أن تكون بقتلهم الفائدة المرجوّة في توعية المسلمين، لأنّ حقيقة الخلاف بين الحسن ومعاوية كانت ما تزال خافيةً على الكثيرين؛ وهذا هو عين ما كان معاوية يريده ويتمنّاه، كان طيلة حكمه في الشّام يدّعي ويوهم النّاس بأنّه حامي حمى الإسلام، وكان الناس يصدّقون ذلك، لأنّهم لم يكونوا قد كشفوا بعد خيانته للإسلام والمسلمين، وأنّه إنّما يرمي إلى تأمين مصالحه ومصالح عائلته، متوسّلاً بحمايته للإسلام في سبيل ذلك. هذه هي حقيقة الخلاف بين الرّجلين، فإذا قتل الحسن اليوم فلن يعرف الناس الحقيقة.

وهكذا وفي أكثر أيّام المسلمين ظلاماً، وحيث لم تكن - حتّى دماء الشهداء - لتجدي نفعاً في إيقاظ الأمّة من سباتها، قبل الإمام الحسن عليه السلام الصلح، وأعطى فرصةً ليومٍ آخر سيأتي يوم

سيكتشف الناس فيه حقيقة معاوية، وحقيقة الخلاف، فيهبّوا عندها للقتال وللشهادة، بعد أن يكونوا قد عرفوا الحقيقة.

قبل الإمام الصّلح بعد أن أخذ من معاوية عهداً اعترف فيه هذا بكثير من الحقائق التي كانت سبباً في وعي الناس وإدراكهم، وهذا ما كان يرمي إليه الحسن عليه السلام ، وقد تعهّد معاوية بألاّ يعيّن وليّاً لعهده، فليس ذلك من حقّه، وأن يدع الشيعة وشأنهم فلا يتعرض لهم بقتلٍ أو أذيّةٍ، وأن يمنع أعوانه من شتم أميرالمؤمنين عليه السلام ، وأن يدفع للحسن الخراج الذي هو حقّ له، وأمور غيرها تمّ الاتّفاق والتوقيع عليها، وتوقّف القتال، وعاد الإمام وأهله وأصحابه إلى الكوفة.

أحسّ أصحاب الحسن عليه السلام بالخيبة والخذلان، حتى تمنّى بعضهم أن لو تخطّفه الموت ولم ير هذا اليوم، واحتجّ الكثيرون على قبول الإمام بالصّلح ، وصدرت عن بعضهم أقوال غير لائقةٍ ، أمّا الحسين عليه السلام فقد كان الوحيد الذي تقبّل هذا الصّلح ولم يعترض عليه قطّ، مسلمّاً بحكم أخيه

الإمام عليه السلام ، وراضياً بصواب تصرّفه.

الحقيقة أنّ الكثيرين لم يلتفتوا إلى أمر هامّ، وهو أنّ معارضتهم للإمام هي في حكم معارضتهم للقرآن الكريم، الذي يعرّفنا بعصمة أهل البيت عليهم السلام ، وأنّ ما يقرّرونه من صلح أو حربٍ أو أمرٍ أو نهيٍ، فهو أمور مبرمة مقدّسة. وأنّ اعتراضهم هو ردّ على رسول الله إذ يقول: الحسن والحسين إمامان إن قاما وان قعدا). لكنّ الناس يتسرّعون بالحكم دون رويّةٍ أو تفكيرٍ.

توجّه معاوية بعد ظفره نحو الكوفة، معقل أميرالمؤمنين وأصحابه، وهناك وقف على منبر مسجدها الكبير، يملأ الغرور أعطافه، وشرع يتناول أصحاب عليّ عليه السلام بكلامٍ بذيءٍ غير لائق، ثمّ تناول بتقريعه رؤساء القبائل، فغدر بهم بعد أن كان قد أبرم معهم المواثيق، وصار يحدّدهم بالاسم والإشارة، وخلّفهم في وضعٍ فاضحٍ ذليلٍ، لا يحسدون عليه.

وهذه هي عاقبة الخيانة على أيّ حالٍ، فالذّين أقدموا على خيانة الإمام عليه السلام لم يظفروا حتّى بعطفٍ بائسٍ من معاوية.

توجّه الإمام وأهله بعد هذه الأحداث نحو يثرب، حيث استقرّوا هناك، وتسلّم بنو أميّة حكم الكوفة، وفي مكان عليّ وعلى منبره حلّ زياد ابن أبيه ومن بعده ابنه، واضطرّ أولئك الذين كانوا ينتحلون الأعذار لتبرير مواقفهم من حكم أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، ورفضوا قبول حكم العدل والتقوى من ابنه بعده، اضطرّوا لأن يحنوا هاماتهم تحت سيوفٍ ملطّخة بالدّماء، وعرفوا - ولكن متأخّرين - قدر النّصائح التي رفضوها، كما عرفوا أيّ بلاءٍ جلبوه لأنفسهم، وندموا على ما قدّمته أيديهم، لكنّ الندّم المتأخّر لا خير فيه.

كان أولئك المنحرفون يعلنون العصيان باستمرارٍ، ولأسباب وأعذارٍ واهيةٍ، طيلة خمس سنواتٍ من حكم الإمام عليّ عليه السلام وبضعة شهورٍ من حكم ابنه الحسن. لكنّهم الآن قعدوا يلعقون جراحهم، وتركوا لمعاوية الحبل على غاربه، يفعل ما يشاء، دون أن يزعجوه بحرفٍ أو يعترضوه بكلمةٍ، فلا طلحة ولا زبير بينهم يرفعان لواء التمرّد والعصيان، ولا خوارج يثيرونها فتنةً هوجاء عمياء، أمّا المنافقون فحدّث عنهم ولا حرج.

في تلك الفترة السّوداء الكالحة من التاريخ، كان أصحاب عليّ فقط، هم الذين تصدّوا وحدهم لحكم الطّغيان، وقدّموا أرواحهم في هذا السبيل، أمّا الأجراء أصحاب الجعالات، فقد زحفوا على وجوههم وبطونهم، ينثرون المديح للحكّام دون أن ينسوا علياً عليه السلام من سبابهم وشتائمهم، والكلام الذي لا يصدر إلاّ عن أمثالهم.

كم هو يسير أن يقف المؤمنون في وجه جبابرة التاريخ، غير أنّ الوقوف في وجه (معبودٍ) أجمع الكثيرون على (عبادته) فأمر فوق الطّاقة

## نقض العهد

وأخيراً وحين أدرك معاوية اقتراب أجله، خشي أن تنتقل الخلافة بعده إلى الحسن، فتضيع جهوده التي أفنى عمره في سبيلها، ويعود أهل البيت إلى حقهم، وهنا الطّامّة الكبرى، فعزم على دسّ السمّ للإمام الحسن عليه السلام ، ونفّذ ما عزم عليه، وقضى على الإمام مسموماً بيد زوجته، متنكّراً لكلّ عهدٍ أبرمه أو ميثاق أقسم عليه، وغمر الفرح باستشهاد الإمام قلب مروان عدوّ الله وعدوّ نبيّه، وقلوب كثيرين غيره، فلم

يخجلوا من رشق تابوته بنبالهم عند تشييعه عليه السلام .

انصرف معاوية بعد ذلك إلى إكمال خطّته، فأخذ البيعة لابنه يزيد شارب الخمر، من أهل الشّام أوّلاً، ثم من أهل مكّة والمدينة، فضمن بذلك استمرار حكم بني أميّة، دون أن يجد من آل طلحة والزبير من يرفع في وجهه راية (الجهاد).

ألا ما أشبه اليوم بالأمس، فقد حال النّاس دون الإمام وحقّه اليوم، كما فعلوا مع أبيه بالأمس. وقطفوا - في الحالتين - ثمار عملهم ذلاً وخذلاناً. لقد بذل الحسن عليه السلام جهده في إرشادهم وتوعيتهم، لكنّه كان يعي حقيقة قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: (إنّك لا تهدي من أحببت، ولكنّ الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين) . كان يعلم أنّ للرّسول مهمّةً يؤدّيها، وهي إبلاغ رسالة ربّه إلى الناس، أحبّوا أن يؤمنوا بها أم لم يحبّوا، وكذلك فللإمام مهمّته أيضاً، وهي أن يرعى استمرار سيرة الرسول، ويحفظ الإسلام ويصونه بما يراه مناسباً، وهذا ما فعله عليه السلام ، فقد سلك سبيلاً كشف للناس ما كان

خافياً عليهم من حقائق، وبيّن للجميع أنّ الخطر على الإسلام يكمن في انخداع النّاس بالمظاهر الكاذبة للحكّام والقادة، الذين يتظاهرون بالإسلام، ويبطنون غير ما يبدون، وعلّمهم أنّ صون الإسلام وصون وحدة المسلمين أمر يقتضي منهم الصّبر الجميل، كما صبر هو كثيراً على هضم حقّه، وصبر على ظلم بعض أصحابه له حين خاطبوه بقولهم: يا مذلّ المؤمنين لقد صبر وهو يعلم أنّ صبره إنّما هو في سبيل الله وعزّة المسلمين، فلا ضير فيه طالما أنّه يغرس بذور الثّورة على الظلم، ثورة أخيه الحسين، لقد كان عهده وصلحه جزءاً من ثورة الحسين، وحقّ فيه وفي أخيه عليهما السلام قول جدّهما الرسول الأمين صلى الله عليه وآله :

**(الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا)**

## الإمام الحسين عليه السلام

**الاسم: الإمام الحسين عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام علي عليه السلام**

**اسم الأم: فاطمة الزهراء عليها السلام**

**تاريخ الولادة: ٣ شعبان السنة الرابعة للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تاريخ الاستشهاد: ١٠ محرم السنة ٦١ للهجرة**

**محل الاستشهاد: كربلاء**

**محل الدفن: كربلاء**

## الوليد المبارك

باسمه تعالى

في اليوم الثالث من شعبان، من السنة الرابعة للهجرة، رزقت فاطمة الزهراء عليها السلام وليدها الثاني العظيم.

قامت (أسماء) إحدى رفيقات فاطمة عليها السلام بلفّ الوليد الصغير بقطعةٍ نظيفة من القماش الأبيض، وتقدّمت به نحو الرسول صلى الله عليه وآله ، فتناوله منها واحتضنه، وجعل يوسعه تقبيلاً، ثمّ ضمّه إلى صدره الشريف، وتلا في مسامعه اسم الله وكلمة لا إله إلاّ الله، وأذّن وأقام، ثم أسماه (حسيناً).

طفق الرسول صلى الله عليه وآله . يرمق الحسين وهو على صدره، ثمّ ضغط عليه برفق وحنان، وشفتاه تتحرّكان بأقوال مبهمةٍ، ثم بدأ يتحسّس أطرافه بمداراةٍ شديدةٍ، وقد شلمه بنظرةٍ ملؤها الحزن، ثم غلبه البكاء.

عجبت أسماء لما رأته وقالت: فداك أبي وأمّي، ممّ بكاؤك؟ فأجابها وقد غامت عيناه: (من ابني هذا)، فملكتها الحيرة، ولم تدرك مغزى قوله، فقالت: إنّه ولد الساعة فأجابها بصوتٍ متقطّع: (تقتله الفئة الباغية بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي .). ثمّ نهض وهو مثقل بالهمّ وقال لها: (لا تخبري فاطمة فإنّها حديثه عهدٍ بولادةٍ.).

وتولّى النبي صلى الله عليه وآله بنفسه رعاية الحسين. واهتمّ به اهتماماً بالغاً. وقد استشفّ صلى الله عليه وآله من وراء الغيب كلّ ما سيجري لولده الحسين عليه السلام وعرف أنّ الله سبحانه قد اختاره ليحفظ به أنوار الإيمان مضيئةً مشعّةً، ويطفئ به وبعائلته شعلة الكفر والنفاق. وتلك نعمة منّ الله بها على أهل بيت نبيّه عليهم السلام ، لكنّ المنافقين لا يؤمنون.

## بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله

هل سمعتم ماذا فعل الظالمون بوصايا الرسول صلى الله عليه وآله ؟ إنّهم بعد أن سمعوها منه ووعوا ما يرمي إليه منها، واستقرّت في خواطرهم، عميت

عنها قلوبهم، فنقضوا عهود الله ومواثيقه، وتناسوا قدر أسرة النبيّ المطهّرة المهديّة، فوضعوا مصير الإسلام والمسلمين بين أيدي أعداء الإسلام، واختاروا العمى على البصيرة، والظلمات على النور، (واستحبّوا العمى على الهدى).

فلو أنّهم استجابوا إلى أوامر الله ورسوله، إذن لفتحت لهم أبواب النعم، ولنالوا القوّة والمعرفة. لكنّهم أبوا فظلموا أنفسهم، وفي ظلّ جهلهم ونقضهم للعهود نال الإمام العظيم عليّ عليه السلام الشهادة، بينما تربّع معاوية على عرش الخلافة ومن فوق هذا العرش أشهرت السيوف على رقاب المسلمين، في مجازر شاملةٍ، وقتل الإمام الحسن بالسّم.

## الحسين عليه السلام وبيعة يزيد

أمّا الحسين عليه السلام، فقد احترم الذي رضيه أخوه، فلم يشهر سيفاً في وجه معاوية طيلة حياته، لكنّ معاوية نقض العهد والميثاق وسلّم خلافة الإسلام والمسلمين إلى ابنه الفاجر، الذي ما إن مات أبوه حتّى أصدر أوامره إلى الوليد، عامله على المدينة،

كي يأخذ البيعة له من الإمام الحسين، ويدعوه إلى تقديم فروض الطّاعة.

دعا الوليد الإمام في منتصف تلك الليلة وقال له: يا حسين آجرك الله في معاوية، وليس هناك اليوم من أبناء رسول الله غيرك، ولست تجهل مقامك بين الناس، فعليك أن تبايع يزيد قبل الجميع، وتسلك مسلك الوفاء، فتكون قدوةً للغير، فأنت ابن بنت رسول هذه الأمّة، وعليك أن تسعى لما فيه خير وصلاح المسلمين.

استمع الحسين عليه السلام إلى الوليد، وسرح في بحر من التفكير والقلق، وأدرك أنّ كلّ شيءٍ قد انتهى، وأنّ يزيد قد صمّم على الشرّ. لقد صمت الحسين عشر سنواتٍ من حكم معاوية. فلم يحرّك ساكناً، أسوةً بأخيه الشهيد، ولكن هل بمقدوره الصمت والسكوت على أعمال يزيد؟ وهل يستطيع أن يبقى متفرّجاً على ظلمه وطغيانه، فيجيز بذلك أعماله وشروره؟ في حين يدرك عليه السلام أنّ الأمّة الإسلامية كانت ترقب ما سيفعله مع يزيد، لأنّ في مبايعته له إقراراً بما كان يرتكبه من منكرٍ. كان عليه.

السلام يدرك هذا وأكثر منه فالتفت إلى عامل يزيد وقال: (إنّ مثلي لا يبايع سرّاً فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة، دعوتنا معهم .).

كان الوليد - كما يقال - ميّالاً للمسالمة، فوافق على تأجيل الأمر إلى الصّباح، غير أن مروان بن الحكم - وكان حاضراً مجلسهما - صاح بالوليد: لئن فارقك الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً .. احبسه، فإن بايع وإلاّ ضربت عنقه. فوثب إليه الإمام عليه السلام قائلاً: (يابن الزرقاء، أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت). ثم التفت إلى الوليد فأخبره عن عزمه على رفض البيعة ليزيد قائلاً: (أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، ونرى وترون).

## التوجه إلى مكّة

في تلك الليلة عزم الحسين على مغادرة المدينة

إلى مكّة، ونفّذ ما عزم عليه دون إبطاء، يرافقه أهله وأصحابه الأقربون، وابتعدوا عن المدينة ما أمكنهم ليكونوا في مأمن من مطاردة أعوان يزيد، في هذا السّفر المحفوف بالمخاطر.

أمّا أهل المدينة، والذين كانوا قد عاهدوا الحسين على النصرة والحماية، فلم يبدر عنهم أيّ تحرّكٍ في هذا الاتّجاه، بل لجأ أكثرهم إلى بيوتهم من الخوف.

وصلت قافلة الإمام إلى مكّة، حيث الأمان أكثر، لأنّ مكّة بيت الله، وأرضها حرم الله؛ والعرب يحترمون بيت الله ويقدّسونه منذ القدم، فلا يقتلون لاجئاً إلى الحرم، ويمتنعون فيه عن الحرب والخصام.

لم يمض وقت طويل على وصول الإمام إلى مكّة، حتّى وصلها جواسيس يزيد، وكانت خطّتهم التخلّص من الإمام خفيةً، ثمّ الادّعاء بأنّه قتل في نزاعٍ محلّيّ بسيط.

بقي الحسين عليه السلام في مكة ما أمكنه ذلك، يحذّر الناس وينبّههم إلى الخطر الذي يشكّله حكم يزيد على الإسلام، كما بعث برسائل إلى رؤساء القبائل

يدعوهم إلى الجهاد والنصرة. حتى إذا أحسّ بأعوان يزيد يضيّقون عليه الخناق، اضطرّ للتفكير بتدبير آخر.

## الكوفة مركز الأحداث

كانت الكوفة في ذلك الوقت، منطقةً آهلةً بالسّكّان، وكان أهلها ممّن عايشوا علياً عليه السلام زمناً ليس بالقصير، وعرفوا قدره ومكانته، وكانت كوفة تلك الأيام أفضل أرض يراعى فيها الإسلام، كما كان أهلها على دراية واطلاع، فهم يعرفون أهل البيت وفضلهم، في حين كان غيرهم لا يعرفون إلاّ حاكم مدينتهم أو خطيب مسجدها، والأمر لديهم سيّان: حكم عليّ أم حكم معاوية، نصروا الحسين أم نصروا يزيد.

في ضوء هذا كلّه، أرسل الإمام ابن عمه (مسلم بن عقيل) إلى الكوفة، ليعمل على تحضير أصحابه وشيعة أبيه للعمل والجهاد، سيّما وأنّ أهل الكوفة كانوا قد بعثوا برسائل كثيرةٍ، يطلبون منه القيام، كما يطلبون منه قيادتهم للجهاد. وكان الإمام حينها ينتظر موت معاوية، حتى يتوجّه إلى الكوفة، ويعلن من هناك إقامة الخلافة الإسلامية.

شعر يزيد بالخطر حين سمع بالتفاف أهل الكوفة حول مسلم رسول الحسين، فعيّن الطاغية ابن زياد لحكم الكوفة، وأوصاه بالبطش والشدّة، وهو ابن لامرأةٍ معروفة بسوء السمعة تدعى مرجانة. كان ابن زياد رجلاً قاسياً متحجّر القلب. كما كان داهيةً صاحب حيلةٍ ومكر، ورث عن أبيه عداوته وبغضاءه لأهل بيت الرسول، إلى جانب وضاعة منبته وسوء خلقه.

خطّط أهل الكوفة يوماً لقتل ابن زيادٍ، فدعاه أحد أعيان المدينة لزيارته في بيته. وكان قد اتّفق مع (مسلم بن عقيل) على أن يخرج فجأةً إلى ابن زياد فينقضّ عليه ويقتله، لكنّ مسلماً لم يفعل، كي لا يعطي ليزيد عذراً، فيحتجّ بأنّ أنصار الحسين هم الذين بدأوا القتال. أمّا ابن زيادٍ فقد أحسّ بالخطر خلال وجوده في هذا البيت، وبعد خروجه أصدر أمراً بالقبض على مسلم وأصحابه، فسجن بعضهم، وقتل مسلماً مع صاحب البيت هانئ بن عروة، ثم أمر بإغلاق مداخل المدينة لا يتسرّب منها أيّ خبرٍ، وكي لا يعلم الحسين بقتل مسلمٍ.

## نحو العراق

ولنعد الآن إلى مكّة، حيث تركنا الإمام الحسين يتدبّر أموره، لنستمع إلى ما جرى هناك. فبعد أن أوفد الإمام رسوله مسلماً إلى الكوفة، استعدّ للحاق به، كي يستكمل من هناك ما عزم عليه، ذلك في حين حاول جماعة من كبار أهل مكة أن يقنعوه بعدم الخروج، قائلين له: أنت تعرف أهل الكوفة جيّداً، وأنّهم خذلوا أباك، كما خذلوا أخاك، وسيخذلونك أنت أيضاً، إنّهم قوم ضعاف النفوس والإيمان، ولئن كانت ألسنتهم معك، فإنّ سيوفهم ستكون عليك. ومن الأفضل أن تصرف النظر عن سفرك هذا. لكنّ الإمام لم يستجب لأقوالهم. بل أصرّ على الخروج. إصرار صاحب الرسالة على أداء رسالته، ولو كان فيها الموت، ألا إنّه الموت في سبيل الله والحق.

أحرم الإمام عليه السلام للعمرة فطاف وسعى وقصّر، وطاف طواف النساء وأحلّ من عمرته، دون أن يتمّ حجّه، كي لا يعطي لأعوان يزيد فرصةً لانتهاك حرمة المسجد الحرام، بسفك دمه الطاهر فيه.

ثمّ توجّه عليه السلام نحو العراق، قاصداً الكوفة مع أهله وإخوانه ونفر من أصحابه. خرج دون أن يصله أيّ خبر من الكوفة، لأنّ ابن زياد حال - كما نعلم - دون تسرّب الأخبار منها، كما أنّه زرع جواسيسه في كلّ مكانٍ على طول الطريق، كي ينبئوه مسبقاً بقدوم الحسين.

## أرض الكرب والبلاء

اقترب الإمام من الكوفة، لكنّ أعوان ابن زيادٍ بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحيّ منعوه من التقدّم، واضطرّوه للنزول في أرض جافّة محرقة تدعى كربلاء، وحين سمع باسمها سرح في تفكير عميق ثم قال: (هذا موضع كرب وبلاءٍ، هاهنا مناخ ركابنا، ومحطّ رحالنا، وسفك دمائنا.). ثمّ أمر بنصب الخيام.

حين علم ابن زياد بنزول الحسين عليه السلام في أرض كربلاء؛ شرع في تنفيذ خطّةٍ لئيمةٍ ماكرةٍ؛ جمع الناس في مسجد الكوفة الأعظم، وقام فيهم خطيباً، فعدّد لهم (حسنات) حكم يزيد، وأنّه أمره

بتوفير الأموال والأرزاق لهم، إن هم خرجوا إلى قتال الحسين، ولم ينس أن يتوعّد من لا يستجيبون له، ويهدّدهم بأنّ أنفسهم وأموالهموعيالهم سيكونون في خطر. وهكذا بين وعدٍ ووعيدٍ استمال الكثيرين منهم، وزجّهم لقتال ابن بنت رسول الله. إنّهم حقاً ضعاف النفوس والإيمان، يتقبّلون أكاذيب ابن زياد، ويخرجون لقتال إمامهم حفيد نبيّهم. إنّه ذاك الطراز من التفكير، تفكير أناس خيّروا بين الحقّ والباطل، فاختاروا الباطل على الحقّ.

## الليلة الأخيرة

وأخيراً، حلّت الليلة الأخيرة ، ليلة العاشر من المحرّم، وحين طوت الظلمة كلّ شيءٍ جمع الإمام أصحابه وأهل بيته، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أمّا بعد، فإنّني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً. ألا وإنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإنّي قد أذنت لكم جميعاً، فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري).

يا لروعة الكرامة الإنسانية لقد أوضح الإمام لهم كلّ شيءٍ، وحدّد لهم مصيرهم وهو القتل، ليكونوا على بيّنة من أمرهم، ورغب أن ينصرفوا تحت جنح الظلام، فيكون لهم ستاراً، كما أنّ الظلام يخفي خجلهم إن هم رغبوا في فراقه.

لكنّه لم يكد يفرغ من كلامه، حتى هبّت الصفوة الطيبة من أهل بيته يتقدّمهم أخوه العباس قائلين: (لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً).

وتبعهم خيرة أصحاب الحسين، أمثال حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، وزهير بن القين وغيرهم، وأعلنوا ترحيبهم بالموت في سبيله. وحين أكّد لهم أنّهم سيلاقون حتفهم هتفوا جميعاً: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك.

لقد أشرقت نفوسهم بنور الإيمان، وكانوا من خيرة الرجال صدقاً ووفاءً.

في هذه الليلة، وفي قلب كربلاء؛ في الخيام التي تسمع منها همسات الشوق إلى الشهادة، وقف الإمام الحسين عليه السلام بين صفوة أهله وخيرة أصحابه يحدّثهم فيحسّون بالسّكينة تتنزّل على

قلوبهم، ويشعرون بنفوسهم خفيفةً شفّافةً تكاد تطير شوقاً إلى الشهادة، وبقلوبهم تهفو إلى لقاء ربّهم، فيبثّون إليه نجواهم وبوح قلوبهم. ويتوجّهون إليه بالتماس العفو والغفران يقولون: ربّنا اغفر لنا، وتجاوز عن خطيئاتنا، واجعل لنا مكاناً في جنّتك واحشرنا مع الطّيّبين الطاهرين من صفوة خلقك. ربّنا وتفضّل بقبول هذه القرابين من أهل بيت نبيك، ربّنا وأسمع صوتنا ونداءنا إلى خلقك، ربّنا واجعل من موطن قرباننا هذا ميعاداً لعبيدك، ربّنا وأرنا مناسكنا وتب علينا يا ربّ العالمين.

أمّا في المعسكر الآخر، فكانت أصوات الطّبول والمزامير تمزّق بصخبها سكون الليل وهدوءه، بينما انصرف اليزيديون إلى الأكل والشرب كالبهائم يغمرهم فرح يزيدي أثيم.

## يوم عاشوراء والمودة في القربى

وأطلّت شمس عاشوراء برأسها من وراء الأفق، ووقف جيش الحقّ في مواجهة جيش الباطل، وأعطى عمر بن سعدٍ أوامره لجنوده، فرموا ابن رسول الله

بسهامهم ونبالهم.

ألم يصدر قاضي المدينة حكمه ويقول: هذا الحسين قد خرج من أرضه، يتدخل في الأمور السياسية، ويفرّق بين المسلمين، فيجب أن يقتل بسيف الإسلام، حتى يخلص منه الإسلام؟

عجباً: كيف طوّعت له نفسه قتل أخيه

وقتل الحسين، وقتل أهل بيته، وقتل أصحابه

وديست أجسادهم الكريمة بحوافر الخيل، وبأمرٍ من ابن سعدٍ

وقيل: تدخّلوا في الأمور السياسيّة

لا، غير صحيح، إنّها العداوة المكشوفة لله ولرسوله وللإسلام وللقرآن، إنّه الحقد الكامن في النفوس السوداء

وبعد ففي الوقت الذي تركن فيه المخلوقات إلى بيوتها وأوكارها تنشد الرّاحة، كان أهل بيت الرسول، نساؤه وأطفاله، يرسفون بالأغلال، ويطاف بهم من مكانٍ إلى آخر. وفي الوقت الذي كان اسم الله واسم رسوله يرتفع فوق المآذن، كان أهل بيت

الرسول يقاسون الأذى والمذلّة والهوان أهذه هي المودّة في القربى؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

راح جنود ابن سعد يدوسون الأجساد الطاهرة بسنابك الخيل، حتى شفوا غليلهم ونفثوا سموم حقدهم، ثم التفتوا إلى نساء الحسين و أطفاله يسوقونهم أسرى مكبّلين إلى الكوفة. والكوفة كانت مقرّ عليّ أميرالمؤمنين. والكلّ يعرف ابنته العقيلة زينب، لكم رأوها في بيت أبيها، ولكم حضرت نساء الكوفة مجالسها واستمعن إلى مواعظها، وها هي الآن أمامهم تتقدّم الأسيرات من النساء والأطفال، فأين يوارون خجلهم؟ إنّ أصواتهم التي اختنقت بالبكاء. وألسنتهم التي لهجت باللّعن على ابن سعدٍ، لن تكفي لغسل ذنوبهم، ولن تغفر لهم تقاعسهم، وهذه كلمات العقيلة تتساقط كالسّياط على جلودهم علّها توقظ القلوب النّائمة، وتحرّك النفوس الغافلة.

## في الشام

سيق الأسرى بعد أيام إلى الشام، والشام كانت في عيدٍ، أليست تحتفل بانتصار يزيد؟ ها هو يستقبل رأس عدوّه؛ رأس الحسين حفيد رسول الله، يغمره

الفرح. ويملأ الفخر أعطافه، راح يسترجع أمجاد آبائه ومآثرهم، ويزهو بها ثم يقول:

لعبـــــت هاشـــــم بالملـــــك فـــــلا  خـــــبر جـــــاء ولا وحـــــي نـــــزل !!

إنّها آداب اليزيديّين

وفي الشام، استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام أن يتحدّث إلى الناس، ويوقظهم من غفلتهم، ويبسط لهم الحقائق، فهو وأبوه الإمام الشهيد وأهله ليسوا من الخوارج العصاة كما قيل للناس، وهم ليسوا من أعداء الإسلام والقرآن كما اتّهموا زوراً وبهتاناً، وكان ممّا قاله عليه السلام :

(فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي أنا ابن مُحَمَّد المصطفى أنا ابن عليّ المرتضى أنا ابن فاطمة الزّهراء، أنا ابن سيّدة النساء أنا ابن المزّمل بالدماء أنا ابن ذبيح كربلا.) ولم يزل يقول أنا، حتّى ضجّ الناس بالبكاء. وتركت صرخة الإمام المدوّية، أهل الشام في ذهولٍ، إذن فهؤلاء أهل بيت النبي ؟ وقامت في الشام بوادر ثورة هوجاء، بعد أن عرف الناس الحقيقة. ثورة تداركها يزيد بإبعاد الأسرى والرؤوس عن الشام.

ثم حظر على الناس مجرّد التّفوّه باسم الحسين، وكل من أتى على ذكر الحسين كان مصيره السجن أو القتل.

## الشهادة والثورة

كان أوّل من أتى على ذكر الحسين عليه السلام هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، فقد زار قبر سيّد الشهداء، وهناك ذرف دموعاً سخينةً صادقةً. وانقلبت تلك الدموع عاصفةً على مرّ التاريخ. كان الذين يجهلون قدر هذه الدموع، يردّدون أقوال اليزيديّين، في ذمّها وذمّ صاحبها.

ولكن في آتي الأيّام، سيتّجه عشّاق درب الحسين نحو كربلا، حيث يذرفون الدموع، ويؤدّون مناسك الشهادة، ويصونون دم الحسين حيّاً مشتعلاً بالثورة، ويصونون درس الشهادة ناطقاً للأجيال القادمة، فلا ينسى الناس ثورة أبي الثوار الحسين عليه السلام، على الظلم والظالمين.

لهذا، ولهذا وحده كان بنو أميّة وبنو العباس يحظرون زيارة قبر الحسين عليه السلام وقبور الشهداء

الآخرين. ولكن فرغماً عن سعي الأعداء والأجراء، فقد ارتفع على أرض كربلاء صرح عظيم، وأقيمت على تربة الشهداء بيوت خالدة للعبادة، وبقي نور الشهادة مشعّاً على مدى الأزمان، وبقي عهد الشهادة نشيداً يتردّد في الأسماع.

وفي الختام: فقد علّمنا الحسين أنّ الدم يقهر السيف بإرادة الشهادة، حين استشهد في سبيل الله والإسلام.

وعلّمنا أنّ الحياة بالقهر والذلّ هي الموت بعينه، حين أبى أن يعطي بيده إعطاء الذليل.

وعلّمنا كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، حين غلب بمواقفه ومبادئه جموع الطغاة.

فالحسين مدرسة لكلّ المستضعفين في ثورتهم على المستكبرين.

والحسين إمام لكلّ العاملين على إقامة حكم الحقّ والإسلام.

والحسين هو من قال عنه جدّه رسول الله : سيّد شباب أهل الجنة.

**وصدق رسول الله**

## الإمام زين العابدين عليه السلام

**الاسم : الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام الحسين عليه السلام .**

**اسم الأم: شهربانو**

**تاريخ الولادة: ١٥ جمادي الأولى سنة ٣٦ للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تاريخ الاستشهاد: ٢٥ محرم سنة ٩٥ للهجرة**

**محل الاستشهاد: المدينة**

**محل الدفن : المدينة (البقيع)**

### أم الإمام

باسمه تعالى

يقولون: ولم كانت أمّه ابنة أحد كبار الإيرانيين؟

إنّ أمّ نبيّ الله إسماعيل عليه السلام كانت ابنةً من بلاط فرعون مصر؛ وهذا من آيات الله سبحانه، إذ تلتقي أمّة بأمة، ويلتقي بحر ببحر، فتنبثق عن هذا اللقاء لآلىء لا تقدّر بثمن. فزوجة فرعون رزقت نعمة الإيمان بعملها الصالح، وابن نوح بعد عن بيت النبوة لأنّ عمله كان غير صالح. وابنة كسرى شرّفتها إرادة الله بالإيمان، وجعلت من ابنة قيصر أمّا لإمام الزمان (عج(، ولكنّ المنافقين لا يؤمنون. فالإيمان والتقوى والعمل الصالح هي المعيار، وفيها القربى إلى الله.

أخلاق إسلامية

جيء بأسرى فارس بعد فتحها من قبل المسلمين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ، وبعد أن قام الخليفة

باستعراضهم، أمر بأن يوزّعوا على أفراد الجيش الظّافر، كما جرت العادة أيّام الفتح الإسلاميّ. وكانت لأوامر الخليفة آثار مختلفة على الفريقين؛ ففي حين غمر الفرح وجوه المهاجرين والأنصار، اكتست وجوه الأسرى بالحزن والأسى.

وقفت بنات (يزدجرد) وأحفاده يرقبون في ذلٍّ وانكسار عمليّة التّوزيع، وهم يتساءلون عمّا يخبّئه لهم المستقبل المجهول، ويذكرون بأسى الآمال العريضة التي كانت إلى حين قريب تملأ قلوبهم وجوانحهم. كانوا ينعمون بأسباب العزّ والجاه، والحياة الرّغيدة. وهم الآن يتساءلون عمّا أوصلهم إلى ما هم فيه، ومن هو المسؤول عن هذا الهوان، هل يلومون قادة جيوشهم، أم يوجّهون اللّوم إلى آبائهم؟ هل يا ترى لو أنّ كبير الفرس (خسرو برويز) لم يمزّق كتاب رسول الله؛ يوم كتب إليه يدعوه إلى الإسلام؛ لتغيّرت النتائج ؟ لكنّ تساؤلاتهم بقيت دون جواب، فهم لا يدرون أنّ (ذلك جزيناهم بما كفروا، وهل نجازي إلاّ الكفور).

لم يمرّ وقت طويل على وقوف الأسرى أمام

الخليفة، حين تقدّم منه شابّ وبادره بالقول: لقد سمعت رسول الله ﷺ يوصي باحترام كبار القوم وأشرافهم؛ ومراعاة قدرهم وكرامتهم؛ وإنّ هؤلاء الأسرى ذوو حسب رفيع، ولا يحسن بنا كمسلمين أن ندعهم في الأسر، وأنا أعلن عتق نصيبي منهم لوجه الله ورسوله.

لم يكن هذا الشابّ غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكان لمبادرته هذه وقع حسن لدى الجميع، فلم يلبث المهاجرون والأنصار من الحضور أن حذوا حذوه، وفعلوا فعله.

عليك الصلاة والسلام يا رسول الله، فهذا درس من دروس لا تحصى علّمته لأمّتك في حسن الخلق، حين أكرمت ابن حاتم الطائيّ رغم إشراكه، لأنّه ابن رجل كريم جواد، هو حاتم الطائيّ، الشاعر الجاهليّ المعروف بسخائه وكرمه. وهذا وصيّك الأمين، يبيّن للناس بعدك سيرتك الشريفة.

لقد تركت مبادرة عليّ عليه السلام أثراً طيّباً في نفوس الأسرى الإيرانيّين، فشعروا بالأمان والرّاحة بعد القلق، ولم يعد المستقبل مجهولاً لديهم بعد الآن،

فهم في كنف وحماية الإسلام، بتعاليمه الطيّبة السّمحة، التي لا تفرّق بين عربيّ وأعجميّ، أو بين أبيض وأسود، فالكلّ في الإسلام سواء؛ وهم في كنف وحماية أميرالمؤمنين. وخير المسلمين بعد رسول الله. وأحسّوا بعد الاطمئنان إليه بمحبّته تعمر قلوبهم.

## العناية الإلهيّة

لم يمض وقت طويل بعد هذه الواقعة، حين تمّ اختيار (شهربانو) بنت (يزدجرد) زوجةً للإمام الحسين الابن الأصغر لعليّ عليهما السلام [1]، وأنجبت للحسين ابنه الثاني فأسماه عليّا الأصغر وهو المعروف بلقبه (زين العابدين) لكثرة تعبّده وتقواه [2]، وهو الإمام الرابع من أهل البيت عليهم السلام.

كان زين العابدين عليه السلام أشبه الناس بجدّه علي بن أبي طالب عليه السلام. [3] فقوّته وشجاعته،

---

(١) روت المصادر التاريخية قصّة (شهربانو) على هذه الصورة، وهذا واقع يجهله بعض المؤرخين.

(٢) بعد ولادة آخر طفل للإمام الحسين عليه السلام أسموه علياً، واشتهر باسم (عليّ الأصغر) وصار زين العابدين عليه السلام من يومها يعرف بـ (عليّ الأوسط).

(٣) في حين كان عليّ الأصغر أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله .

وصبره وتجلّده، وتعبّده وتقواه، وعلمه ومعرفته أمور تذكّر بجدّه عليه السلام . ويروى أنّه حين توجّه مع أبيه في قافلة الشهادة إلى كربلاء، كان يطفح تصميماً وعزيمةً؛ وبعد النزول في كربلاء، وبدء الاستعداد للقتال، تمّ تخصيص كلّ فردٍ بدرعٍ وسيفٍ، وكانت الدرع التي خصّصت لزين العابدين طويلة تصل حتى ركبتيه، فما كان منه إلاّ أن لوى طرفها بمقدار الزيادة، ثمّ كسرها بيديه حتى غدت ملائمةً لطوله، فلا تعيق حركته. فارتفع صدى الاستحسان من الحاضرين لما رأوه من شدّته وقوّته. لكنّه لم يقدّر له استخدام قوّته هذه يوم النزال، فقد ظهرت عليه في تلك الليلة آثار حمّى شديدة لم تلبث أن طرحته في الفراش.

وهكذا شاءت العناية الإلهيّة أن يكون علي الصغير طريح فراش المرض، في قلب المعركة، ولكنّه بعيد عنها، الأمر الذي جنّبه القتل، وحفظ نسل رسول الله من الانقراض. رغم حرص طغاة يزيد على قتل أبناء الحسين جميعهم، لكنّ إرادة الله سبحانه، النافذة في كلّ أمر، والقادرة فوق كلّ قدرة، رعته وحفظته خلال المعركة وبعدها، حين تعرّض للقتل أكثر من مرّةٍ.

وانجلت المعركة عن فوز أحباب الله أباة الضّيم بشرف الشهادة، بعد أن سطّروا أروع ملحمةٍ في التاريخ، وباء أعداء الله بالخسران المبين.

وسيق من تبقّى من أهل بيت النبوّة أسرى مكبّلين بالأغلال إلى الكوفة، وكلّهم من النساء والأطفال، غير زين العابدين عليه السلام.

## الإمام يواجه ابن زياد

وفي الكوفة، في مجلس ابن زياد، وقف الطاغية يشمت ويتشفّى، وحوله زبانيته وجلاوزته، ولما انتهى من نفث سموم حقده على النساء والأطفال دون أن يجرؤ أحد على التفوّه بحرف، خوفاً من بطشه وقسوته، التفت إلى الإمام وقال له: من أنت ؟ قال: أنا عليّ بن الحسين، فردّ عليه بقوله: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فأجابه الإمام: كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال الإمام: الله يتوفّى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال: أبك جرأة على ردّ جوابي؟ وأمر جلاوزته بقتله. فتعلّقت به عمّته زينب واعتنقته

وقالت: يابن زياد، حسبك من دمائنا ما سفكت. والله لا أفارقه، فإن أردت قتله فاقتلني معه. فرقّ لها وتركه كما يروى.

## في مواجهة الطاغية يزيد

عند ما سيق آل الرسول إلى الشام قيل للناس إنّ هؤلاء الأسرى هم من العصاة الذين خرجوا لإثارة الفتن، فاقتضى الأمر تأديبهم.

دخلت قافلة الأسرى دمشق، وكان يزيد قد أمر بتزيين مجلسه، وجمع حوله الكبار والأعيان، دون أن ينسى ضمّ أمثاله من رفاق السّوء. ليشاركوه (نصره( وأفراحه. كما بدت الشام بأبهى مظاهر الزينة والفرح

أدخل الأسرى إلى مجلس يزيد، وحينما وضعت الرؤوس الشريفة بين يديه أنشد:

نفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا وقد كانوا أعقّ وأظلما

ثم التفت إلى زين العابدين وقال: أبوك قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع به الله ما قد رأيت. فقال الإمام: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها، إنّ

ذلك على الله يسير، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحبّ كلّ مختالٍ فخور) .

فأمر يزيد أحد أنصاره أن يصعد المنبر وينال من عليّ والحسن والحسين عليهم السلام ، ففعل ونال منهم، كما أثنى على معاوية، فقال له الإمام: ويلك أيّها المتكلّم، لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار. ثمّ التفت إلى الجلوس وقال:

(أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي أنا ابن مُحَمَّد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى أنا أنا.). ولم يزل يقول أنا، ويعدّد على الحضور مآثر جدّيه رسول الله وأميرالمؤمنين، وأبيه أبي عبد الله الحسين، ويذكر ما جرى في طفّ كربلاء حتّى ضجّ الناس بالبكاء. وخشي يزيد أن ينتقض أهل الشام عليه فأمر المؤذّن أن يؤذّن ليقطع حديثه. فلمّا قال المؤذّن: الله اكبر قال عليه السلام : لا شيء أكبر من الله، ولما قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله قال الإمام عليه السلام : شهد بها لحمي ودمي وبشري

وشعري، ولما قال: أشهد أنّ مُحَمَّداً رسول الله، التفت الإمام إلى يزيد وقال: مُحَمَّد هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت. وإن زعمت أنّه جدّي فلم قتلت عترته ؟

أسقط في يد يزيد، ورأى أنّ خير ما يفعله هو التعجيل بترحيل الأسرى إلى المدينة، تداركاً لغضبة أهل الشام.

## في المدينة

وسيقت بقيّة الحسين نحو المدينة، لكنّ القافلة انعطفت في طريقها نحو كربلاء، ونزل زين العابدين وزينب الكبرى عليهما السلام مرّةً ثانيةً في أرض الكرب والبلاء، ونثرا على تربة الحسين دموع الألم وأنّات التّوجّع.

منذ ذلك اليوم، وعلى مدى الأزمان، وما بقيت الأرض والناس، ستبقى صروح العبادة مرتفعةً بجلالٍ وشموخٍ في هذا المكان، تروي للنّاس قصّة أكرم شهادةٍ، وتحكي لهم قصّة أروع ثورة على الظلم، ما بقيت العصور وكرّت الدّهور.

تابعت القافلة مسيرها نحو المدينة، مدينة الرسول، فخرجت جموع أهلها، كبيرهم وصغيرهم لاستقبالهم، يذرفون دموع الحزن لما حّل بأهل بيت رسولهم، ويسكبون دموع الندم لسوء تفريطهم وتقصيرهم في حقّ العترة الطاهرة. وازدحموا حول الإمام يعزّونه بأبيه. فوقف بينهم وقال: الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، بارئ الخلق أجمعين أيّها القوم، إنّ الله وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليلةٍ، وثلمةٍ في الإسلام عظيمةٍ؛ قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السّنان، وهذه الرّزيّة التي لا مثلها رزيّة أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمةٍ في الإسلام ثلمناها والله لو أنّ النبي ﷺ تقدّم إليهم في قتالنا، كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا، لما زادوا على ما فعلوا بنا؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون فعند الله نحتسب ما أصابنا وما بلغ منّا، إنّه عزيز ذو انتقامٍ.

فأثار خطابه الأسى والحزن في نفوس تلك

الجماهير، وامتلأ المكان بالبكاء والعويل، وأحسّ المسلمون بمرارة تلك الصدمة العنيفة، التي أصابت الإسلام في الصميم، وبدأت تعتمل في أوصالهم روح الثورة ونذر الانتقام.

أمّا العقيلة زينب عليها السلام، فكانت تردّد تلك المأساة الرّهيبة، فتشحن النفوس بالحقد على الظالمين، وتلهب فيها نار الثورة على يزيد وحكومته الجائرة.

## اندلاع الثورات

نعم، فقد كانت فاجعة كربلاء صدمةً عنيفةً، أيقظت الغافلين من غفلتهم وألهبت المشاعر الخامدة وفجّرت ثورةً تلو أخرى في وجوه الطغاة؛ فلم تمض سنة على واقعة الطّف، حتى اندلعت الثورة في مدينة الرسول، واندفع الناس يهاجمون الأمويّين وأعوانهم، بعد أن خلعوا بيعة يزيد وطردوا عامله عليها، ولما بلغ يزيد ما فعلوه أرسل إليهم جيشاً بقيادة الجزّار مسلم بن عقبة. فأعمل فيهم السيف وقتل منهم خلقاً كثيراً، في موقعةٍ شهيرةٍ تدعى وقعة الحرّة، ثمّ أباح

مدينة الرسول لجنوده ثلاثة أيام، فنهبوها واستباحوا الحرمات وهتكوا الأعراض، حتّى نزل أهل المدينة على أمره. وبايعوا على أن يكونوا عبيداً ليزيد، وهكذا فقد دفعوا ثمن تقصيرهم وتخاذلهم عن الجهاد مع الحسين حين دعاهم إليه.

كما اندلعت ثورة في الحجاز يقودها عبد الله بن الزبير. هذا الإنسان الميّال إلى العلوّ في الأرض، والذي بقي سنين طويلةً يتحيّن الفرص للقفز إلى كرسيّ الخلافة، فواتته الفرصة الآن. فقام يرفع راية أهل البيت ويطالب بدم الحسين زوراً وكذباً يخفي وراءه أطماعه. لأنّ عداوته لأهل البيت لا تحتاج إلى بيانٍ.

استمدّ عبد الله بن الزبير جرأته من الثّورات المتعدّدة، التي أعقبت الواحدة منها الأخرى في وجه حكم يزيد، وجهّز جيشاً واجه به قوّات السلطة في معركة طاحنةٍ، راح ضحيّتها عدد كبير من القتلى من الطرفين، ودارت بالقرب من مكّة، التي قذفها جند يزيد بالمنجنيق، وقبل أن تحسم المعركة لصالح أحد الطرفين المتقاتلين، ورد نبأ هلاك الطاغية يزيد، وكان

لهذا النّبأ أثره السريع، حيث انسحب جيش الحكم، وضمن ابن الزبير السلامة، ولكن إلى حين حيث لاقى حتفه فيما بعد على يد الحجّاج السّفّاح، في عهد عبد الملك بن مروان.

ومن الثورات التي اشتعلت بتأثير واقعة كربلاء، ثورة التوّابين في الكوفة سنة ٦٥ للهجرة. وانتشرت إلى البصرة والمدائن، وسمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى جماعةٍ من أهل الكوفة، ندموا ندماً شديداً على تقاعسهم عن نصرة سيّد الشهداء، بعد أن دعوه للقدوم إليهم، وقد أعلنوا توبتهم، وكانت توبةً نصوحاً، ولذا عرفوا بالتّوّابين. وكان يقودهم سليمان بن صردٍ الخزاعيّ. ويروى أنّ تعدادهم بلغ ستّة عشر ألفاً.

خرج التّوابون من الكوفة إلى قبر الحسين عليه السلام، وقد لبسوا أكفانهم، وأخذوا على أنفسهم عهداً بألاّ يعودوا إلى بيوتهم حتّى ينتقموا لمقتل الحسين أو يقتلوا تكفيراً عن تقصيرهم. وردّدت جنبات الكوفة صيحاتهم (يا لثارات الحسين) وتردّدت أصداؤها في كلّ مكانٍ. وحين بلغوا القبر الشريف صاحوا باكين

نادمين وأقاموا عنده يوماً وليلةً، ثم غادروا القبر متّجهين إلى الشام، وهم يتلون الآية الكريمة: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم، إنّه هو التّواب الرحيم). والتقوا في طريقهم بجيش السلطة يقوده الطاغية عبيد الله بن زياد، واندفعوا يقاتلون ببسالة فائقة، وكادوا يقضون على ابن زياد لولا المدد الذي وصل إليه، لكنّهم ظلّوا يقاتلون أيّاماً حتى أبيدوا عن آخرهم.

وهكذا مضى التّوّابون شهداء الندم والتوبة، وتركوا الندم وراءهم ميراثاً يصلي بناره المتخاذلين جيلاً بعد جيل.

## ثورة المختار

زاد موت يزيد من تفجّر الثّورات ضدّ الحكم الأمويّ، فاشتعلت ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفيّ في الكوفة أيضاً سنة ٦٦ للهجرة.

خرج المختار في الكوفة، ودعا الناس للطلب بثأر الحسين عليه السلام، فمال إليه الناس، واستولى على بيت المال فوزّع ما فيه من الأموال على من انضمّ إلى

حركته، فاستتبّ له الأمر في الكوفة، وحاول تقوية مركزه فكتب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام يدعوه إلى تأييده ويعرض عليه البيعة، ويروى أنّ الإمام تجاهل دعوته، لأنّ تحرّك المختار لم يكن خالصاً من المصالح الشخصيّة، ولما يئس المختار من الإمام كتب إلى عمّه مُحَمَّد بن الحنفيّة [1]، وأشاع بين الناس كذباً أنّ مُحَمَّد بن الحنفيّة هو قائم آل محمدٍ، وأنّه يدعو إليه، فخدع بعض الناس بهذه الأكاذيب. ومن هنا ظهرت الفرقة الكيسانيّة إلى الوجود.

## إنّه عزيز ذو انتقامٍ

وعلى أيّ حالٍ، فلقد تتّبع المختار قتلة الحسين عليه السلام، والمشتركين في حربه، وعلى الأخصّ قادتهم كعمر بن سعدٍ وغيره، فلم يترك أحداً منهم إلاّ ونكّل به، وكان يصنع بهم مثل ما صنعوه مع الحسين وأصحابه، وكان المختار بحقّ عدوّاً عنيداً للأمويّين. وقد ظفر أخيراً بعبيد الله بن زيادٍ فقطع رأسه وأرسله مع

---

(١) مُحَمَّد بن الحنفيّة هو أحد أبناء الإمام عليّ عليه السلام، وهو يعرف باسم أمّه (الحنفيّة).

رأس عمر بن سعدٍ، بالإضافة إلى هدايا كثيرةً بينها جارية إلى الإمام زين العابدين في المدينة.

ما إن رأى الإمام الرأسين حتى خرّ ساجداً شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً. وقبل الجارية والهدايا، وقد أنجبت له تلك الجارية ولداً هو (زيد بن عليّ) الثّائر الشهيد. وكان زيد مجاهداً صادقاً، قام لصون دين الله من التّحريف. فحمل رسالة آبائه، وناضل وجاهد، حتّى قتل على منهاج المجاهدين في سبيل الله.

## أخلاقه من أخلاق جدّيه مُحَمَّد وعليّ

كان الإمام زين العابدين عليه السلام عالماً فقيهاً، ذا اطّلاع واسع على أمور الدين وعلوم القرآن الكريم، وكان جواداً سخيّاً كما كان ورعاً تقيّاً، ذا مهابةٍ ووقارٍ، ويروى أنّه غادر يوماً مجلساً لعمر بن عبد العزيز. فقال عمر لمن حوله: من أشرف الناس؟ أجابه بعض المتزلّفين: أنتم يا أميرالمؤمنين، فقال: كلاّ، أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً. وهذا

يدلّ على ما كان يتمتّع به عليه السلام من مكانةٍ رفيعةٍ واحترام كبير. ويروى عن سماحته وسموّ خلقه ما جرى له مع مروان بن الحكم ألدّ أعداء أهل البيت، وهو من أشار على الوليد عامل يزيد على المدينة بقتل الحسين عليه السلام، وهو من شمت بمقتله عليه السلام، وهو من انضمّ إلى الناكثين في صفين والبصرة، ومع ذلك فمروان هذا لم يجد من يحمي عياله ونساءه غير زين العابدين عليه السلام، وذلك يوم ثار أهل المدينة ضدّ الأمويّين فضمّهم عليه السلام إلى عياله، وعاملهم بما كان يعامل به أهله وعياله. وليس هذا غريباً على من اجتباهم الله وخصّهم بالكرامة والعصمة. وإنّ أخلاق الإمام زين العابدين من أخلاق جدّيه مُحَمَّد رسول الله وعليّ أميرالمؤمنين عليهم أفضل الصلاة والسلام. ألم يعف رسول الله صلى الله عليه وآله عن رؤوس الشّرك والنفاق بعد أن ظفر بهم، وقال لهم قولته الشّهيرة: اذهبوا فأنتم الطّلقاء؟ ألم يعف أميرالمؤمنين عن مروان نفسه، وقد قاد الجيوش لحربه في البصرة؟ ألم يعف عنه بعد أن وقع أسيراً في قبضته، وتركه مع علمه بأنّه سينضمّ إلى معاوية ويحاربه في صفّين؟ وقد فعل؟ إلاّ إنّها

السّماحة الهاشميّة.

أمّا عن سخائه وجوده فيروى أنّ بيوتاً في المدينة كانت تعيش على صدقات الإمام عليه السلام ولا تدري من أين تعيش. فلمّا مات عليه السلام فقدوا ما كان يأتيهم، فعلموا بأنّه هو الذي كان يعيلهم وقالوا: ما فقدنا صدقة السرّ حتى فقدنا عليّ بن الحسين زين العابدين.

## الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق

وأمّا بحار علمه عليه السلام فعميقة بلا قرار، وحيث لم يتسنّ له أن يرتقي المنابر ويقف في المجتمعات لإرشاد الناس إلى ما يصلحهم من أخلاق الإسلام وآدابه، فقد استخدم أسلوب الوعظ والإرشاد في حوارٍ ومناجاة مع الله سبحانه، يستعطفه ويمجّده في ستين دعاءً عرفت (بالصحيفة السجّاديّة)، رواها عنه والده الإمام الباقر عليه السلام وزيد بن عليّ وغيرهما من الثّقات، ولا تزال إلى يومنا هذا يتداولها المؤمنون ويواظبون على قراءتها. وهي أدعية شاملة حافلة بآداب الإسلام وأخلاقه، وبكلّ ما يقرّب المؤمن من الله سبحانه. كما وضع عليه السلام رسالةً لأصحابه وشيعته تتضمّن ما يجب عليهم من واجباتٍ وما يجب

لهم من حقوقٍ، وتشمل خميس مادّةً في هذا الموضوع، تتناول الأخ والجار والصديق والزوج والحاكم وغيرهم وقد عرفت (برسالة الحقوق)، رواها عنه العديد من الثّقات الأسناد. إلى ما هنالك من كلماتٍ قصارٍ ووصايا وأحاديث رويت عنه عليه السلام.

لا عجب في كلّ ما تقدّم، فزين العابدين عليه السلام، هو رابع الأئمة الأطهار المجتبين، ورثة العلم عن رسول ربّ العالمين، مشاعل نورٍ تضيء للأجيال طريقها إلى الخير والصلاح، فأحر بنا أن ننهج إلى الجهاد، ونسلك مسالكهم في التّعامل مع طواغيت العصر. فقد جاهد عليه السلام بيده مع جدّه وأبيه، وجاهد بلسانه عند ما استدعت الظّروف ذلك، وصدق رسول الله إذ أكّد أنّ عترته هي مع القرآن والقرآن معها، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

## الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام

**الاسم: الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام علي بن الحسين عليه السلام**

**اسم الأم: فاطمة**

**تاريخ الولادة: أول رجب سنة ٥٦ للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تاريخ الاستشهاد: ٧ ذي الحجة سنة ١١٤ للهجرة**

**محل الاستشهاد: المدينة**

**محل الدفن: المدينة (البقيع)**

### ثمرة الشجرة المباركة

باسمه تعالى

كان للإمام الحسن عليه السلام بنت اسمها فاطمة. وكانت تستحقّ حمل هذاالاسم الكريم عن جدارةٍ، فهي تقيّة طاهرة، فاضلة عابدة ، زاهدة صالحة، نشأت في بيتٍ كريمٍ، وتلقّت علوم القرآن الكريم والمعارف الإسلامية في بيت الرسول صلى الله عليه وآله .

اختار الإمام الحسين عليه السلام فاطمة ابنة أخيه، زوجة لابنه عليّ عليه السلام ، وعاشت فاطمة الثانية مع عليّ الثاني حياة طيّبةً طاهرةً، وأنجبا مولوداً طاهراً عفيفاً أسموه مُحَمَّداً، ويعرف باسم مُحَمَّد الباقر، أي الذي يبقر العلوم ويشقّها ويوضّحها ويحلّ ألغازها. ويروى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي أسماه بالباقر، قبل ولادته، مستشفّاً طوايا الغيب. وكان الباقر عليه السلام شبيهاً إلى حدّ بعيدٍ بجدّه الرسول صلى الله عليه وآله ولذلك كان يدعى بـ (شبيه رسول الله).

## طفولة الإمام وشريط الأحداث

حين قدم الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، صحب معه أبناءه وأهله، ومن بينهم زين العابدين وفاطمة وطفلهما محمّد عليهما السلام.

كان الباقر يبلغ الرابعة من العمر، وفي طفولته هذه رأي بأم عينيه ما جرى في كربلاء، رأى مقتل جدّه الحسين، ورأى الأصحاب والأهل يتساقطون على الثرى، رأى الدماء والويلات، رأى كيف سيق مع من تبقّى من أهله أسرى إلى الكوفة والشام، رأى رأس جدّه يرفع على سنان الرمح. رأى أعياد وأفراح الناس، رأى طريقة الطاغية يزيد في معاملة أهل بيت الرسول. وكلّ ما قيل هنا وهناك وهنالك سمعه وفهمه ووعاه. وهكذا بدأت طفولته عليه السلام، وفي غمرة هذا الجحيم من الأحداث المتوالية، بدأ يتلقّى علومه على يد أبيه.

أمّا الحكم الأموي. فقد عانى عليه السلام منه الكثير. فقد عاصر حكم يزيد، وشهد حكم عبد الملك والوليد وهشام ابنيه، كما رأى مسلك

الحجّاج ابن يوسف، هذا الذئب من ذئاب جهنم، رأى الحصار الذي فرض على أبيه الجليل، رأى كيف كان الناس يتحرّكون بكامل حرّيتهم؛ فيقولون ما يشاؤون ويكتبون ما يشاؤون، إلاّ أهل بيت الرسول، فالحرّيّة محظورة عليهم، والناس لا يجرؤون على الاقتراب من بيت الإمام، أو سؤاله عن أيّ مسألة، دينيةٍ كانت أم غير ذلك، لا لشيءٍ؛ إلاّ لأنّ زين العابدين هو ابن الحسين وحفيد علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ورغم هذا التضييق الشديد فقد كان هناك رجال صدقٍ، لا يأبهون لأوامر الحكّام، ويحضرون للقائه عليه السلام، وكان جابر بن عبد الله الأنصاري أحد هؤلاء، وجابر هو آخر من بقي من أصحاب الرسول في تلك الأيام، وقد أصبح شيخاً طاعناً في السن.

## سلام رسول الله صلى الله عليه وآله

كان جابر حين يجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله يردّد: يا باقر العلم، يا باقر العلم. وكان أهل المدينة إذا سمعوه يردّد هذا القول، يتعجّبون ويقولون: إنّ

جابراً يهجر (أي يهذي بأقوالٍ غير مفهومةٍ). فكان يجيبهم: والله ما أهجر، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنك ستدرك رجلاً منّي، اسمه اسمي، وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقراً).

فذاك ما دعاني إلى ما أقول.

كان جابر ذات يوم في بعض طرق المدينة، فمرّ به غلام، فلمّا رآه جابر قال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال جابر: شمائل رسول الله، والذي نفسي بيده. يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي مُحَمَّد بن علي بن الحسين. فقام جابر يقبّل رأسه ويقول: بأبي أنت وأمي، أبوك رسول الله ﷺ يقرئك السلام، فقال مُحَمَّد: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم رجع مُحَمَّد إلى أبيه مذعوراً فأخبره الخبر، فقال له: يا بنيّ، قد فعلها جابر؟ قال: نعم، قال: الزم بيتك يا بنيّ.

ذلك أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام خاف على ولده، لأنّ الحكومة الأمويّة كانت قد فرضت رقابةً شديدةً على الإمام وأهله، فخشي عليه السلام أن ينالوه بسوءٍ.

وفيما بعد كان جابر يلتقي ابن زين العابدين، ويتبادل معه الحديث، وقد أدرك أنّ علوم ومعارف رسول الله ﷺ قد أودعت عند هذا الغلام. فقال له يوماً: أي بنيّ، إنّك ستعلّم الناس أمور الدين، وستحلّ مشاكل العلوم عند الباحثين، وتردّ على أسئلة السائلين، يابن عليّ بن الحسين بن أبي طالب، إنّك (باقر العلوم) إنّك من الذين أوتوا العلم صغاراً، وقال فيهم الرحمن سبحانه: (وآتيناه الحكم صبيّاً).

كان قد مضى على هجرة الرسول ﷺ ما يقارب المئة عام، حين ودّع الإمام زين العابدين الحياة، بعد أن أوصى لابنه مُحَمَّد بالإمامة، وكانت سنّ محمدٍ عليه السلام تقارب الأربعين عاماً.

## عصر الإمام عليه السلام وشريط الأحداث

خلال ولاية الإمام الباقر عليه السلام، تعاقب على حكم العالم الإسلامي كلّ من الوليد وسليمان، ابني عبد الملك، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد وهشام ابنا عبد الملك أيضاً. وكانوا إذا زار أحدهم المدينة، يحضرون للقاء الإمام الباقر عليه السلام، مراعاةً

لقدره ومكانته بين المسلمين، كما كانوا يوجّهون له الدّعوات أحياناً للحضور إلى دمشق، وكانت غايتهم من ذلك إبعاده عن المدينة، فوجوده فيها كان يسبّب لهم القلق. ويخشون تأثيره على الناس. خاصةً وأنّ الحكم الأمويّ في تلك الفترة كان يميل إلى الضعف، وكانت تقوم جماعات في نواح وأطراف مختلفةٍ من البلاد تنازع الأمويّين وتخاصمهم. الأمر الذي خفّف الضغط عن الإمام عليه السلام، وأتاح للناس حرّيّة أكبر في زيارته والجلوس إليه والتزوّد من علومه ومعارفه. واستطاع أن يعقد المجالس كلّ صباح، ويقدّم فيها لتلاميذه شتّى أنواع العلوم والتربية الدينية. لهذا فإنّ الروايات التي وصلتنا عنه كثيرة جداً، وقد تقدّمت العلوم والمعارف في عصره حتى سمّي بالعصر الذهبيّ.

كما كان عصره، من ناحية أخرى، عصر يقظةٍ في صفوف المسلمين، وكان الناس قد أدركوا - بعد خمسين سنةً من واقعة كربلاء - أنّ الأمويّين يحكمون باسم الإسلام زوراً وبهتاناً، وأنّ مسلكهم كان بعيداً كلّ البعد عن الإسلام. وأنّ الرّجال العظام الذين

قدّموا أرواحهم في سبيل توعية المسلمين وتقويم الانحراف، قد تركوا لهم دروساً بليغة واضحة المدلول، فقام المجاهدون في كلّ مكان، يرفعون لواء الثورة على الظلم والفساد، ومشعل ثورة كربلاء ينير لهم الطريق.

وفي هذا النطاق أعلن كثير من العلويّين الثورة، لكنّ ثوراتهم فشلت ولم تثمر، وحتى ثورة زيد بن عليّ، أخي الإمام الباقر، كان مصيرها الفشل، فقد تفرّق عنه الناس، وتركوه مع نفر من أصحابه الصادقين، يقارعون الطغاة ببسالة وإيمانٍ، حتى غلبتهم الكثرة، وقتل زيد وأصحابه. كان زيد رحمه الله ورعاً تقيّاً. وكان لمقتله وقع أليم على أخيه الإمام الباقر عليه السلام وأهله جميعاً.

وعلي أيّ حالٍ، فإلى جانب ما رآه الإمام الباقر عليه السلام من طغيان الأمويّين، شهد كذلك قيام طغاة بني العباس، وكما رفع أولئك لواء الإسلام كذباً، رفع هؤلاء لواء أهل البيت زوراً وبهتاناً، وصار أبو مسلمٍ وأبو سلمة وسفاح بني العباسا (مجاهدين ثائرين).

حين تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم، حاول إصلاح أمور أفسدها من سبقه من حكّام بني أميّة، فأبطل لعن أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر. تلك الوصمة السوداء في تاريخ الحكم الأمويّ، كما أمر بإعادة (مزرعة فدك) إلى أهل البيت، بعد أن انتزعت منهم إلى بيت المال، رغم معرفة الجميع بالحقيقة، وهي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد أعطى هذه المزرعة الصغيرة نحلةً لابنته الزهراء عليها السلام. وهذا التصرّف السليم من جانب عمر بن عبد العزيز يلقي الضوء على وجهٍ من وجوه الإجحاف الكثير الذي لحق بآل الرسول صلى الله عليه وآله من بعده. كما أنّه من جانب آخر، أمر بإعادة تدوين الحديث الشريف، بعد أن حضر تدوينه لمدّة مئة عام كاملة، لكنّ عمر بن عبد العزيز كسر هذا الطوق عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله .

## مع هشام بن عبد الملك

وخلال حكم هشام بن عبد الملك. ونتيجةً للتضييق على آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وقف جعفر بن مُحَمَّد، الابن الأكبر للإمام الباقر عليهما السلام ، أمام

الألوف المؤلفة من الرجال والنساء، في رحاب بيت الله، وكان فيهم مسلمة بن عبد الملك أخو هشامٍ وقف خطيباً معرّفاً بأبيه وبنفسه وقال:

(الحمد لله الذي بعث مُحَمَّداً بالحقّ نبيّاً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله في خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من تبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا.).

تردّدت كلمات حفيد رسول الله بين الناس، فرفّت القلوب لمعانيها، ولهجت الألسن بمراميها، والتفّت الجموع حول قائلها وأبيه. صلوات الله عليكم يا أهل بيت رسول الله، فأنتم بالحقّ صفوة الله في خلقه، وأنتم خيرته من عباده.

رأى مسلمة بن عبد الملك ما جرى وسمع ما قيل، فراح والحقد يفري أحشاءه، ونقل إلى أخيه كلّ ما رأى وما سمع.

غضب هشام من أقوال جعفر بن مُحَمَّد، وآلمه أنّ يافعاً حدث السّن يجرؤ على الوقوف أمام الناس، يدعو لنفسه ولأبيه وأهله، ويدّعي أنّهم خلفاء الله في أرضه عجباً لئن كان جعفر هذا وأبوه خليفتين لله، فماذا نكون نحن إذا؟

أمر هشام عامله على المدينة أن يبعث بالإمام الباقر وابنه جعفر إلى دمشق، وكانت دمشق في ذلك العهد مركزاً للحكم الإسلامي، وقد ازدهرت كثيراً، فارتفعت فيها الأبنية الكبيرة، وأقيمت المساجد العظيمة.

اضطرّ الإمام للتوجّه إلى دمشق مع ابنه، وحين وصلاها، تجاهلهما هشام ثلاثة أيام، دون أن يدعوهما إلى لقائه وكان يرمي إلى الاستهانة بالإمام، والحطّ من قدره أمام الناس وفي اليوم الرابع أرسل يدعوهما إلى مجلسه.

أخذ الإمام وابنه طريقهما نحو دار الحكم، وكانت تبدو في أبهى زينة، وقد حفّت بها الحدائق الجميلة، واصطفّ الحرس على الجانبين، بألبستهم الزاهية، ووجوههم العابسة بينما وقف قادة الجيش والوجهاء، وكبار بني أمية يرمون السهام على هدف قد نصب خصيصاً لذلك.

دخل الإمام مجلس هشام، وبادر الحاضرين بالسلام، دون أن يسلّم على هشام بالخلافة (أي دون أن يدعوه باسم أميرالمؤمنين). فكان هذا

التصرف ثقيل الوطأة علىهشامٍ، بينما عقلت الدّهشة ألسنة الحضور.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(فلمّا دخلنا، كان أبي أمامي وأنا خلفه، فنادى هشام: يا مُحَمَّد، ارم مع أشياخ قومك .).

فقال أبي: (قد كبرت عن الرّمي، فإن رأيت أن تعفيني.).

فصاح هشام: (وحقّ من أعزّنا بدينه ونبيّه محمدٍ صلى الله عليه وآله لا أعفيك.)

وظنّ الطّاغية أنّ الإمام سوف يخفق في رمايته، فيتخذ ذلك وسيلةً للحطّ من شأنه أمام الغوغاء من أهل الشام؛ وأومأ إلى شيخ من بني أميّة أن يناول الإمام عليه السلام قوسه، فتناوله وتناول معه سهماً، فوضعه في كبد القوس، ورمى به الغرض فأصاب وسطه. ثم تناول سهماً فرمى به فشقّ السهم الأوّل إلى نصله، وتابع الإمام الرمي حتى شقّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض وجعل هشام يضطرب من الغيظ.. فلم يتمالك أن صاح:

(يا أبا جعفر، أنت أرمى العرب والعجم وزعمت أنّك قد كبرت).

ثم أدركته الندامة على تقريظه للإمام، فأطرق برأسه إلى الأرض والإمام واقف، ولما طال وقوفه غضب عليه السلام وبان ذلك على وجهه الشريف، وكان إذا غضب نظر إلى السماء. ولما بصر هشام غضب الإمام قام إليه واعتنقه، وأجلسه عن يمينه، وأقبل عليه بوجهه قائلاً:

(يا مُحَمَّد، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش، ما دام فيها مثلك، لله درّك من علّمك هذا الرّمي؟ وفي كم تعلّمته؟ أيرمي جعفر مثل رميك؟.)

فقال أبوجعفر عليه السلام: (إنّا نحن نتوارث الكمال).

فاحمرّ وجه الطاغية من الغيظ، وقال:

(ألسنا بني عبد منافٍ، نسبنا ونسبكم واحد؟).

وردّ عليه الإمام مزاعمه قائلاً: (نحن كذلك، ولكنّ الله اختصّنا من مكنون سرّه وخالص علمه، بما لم يخصّ به أحداً غيرنا.).

وطفق هشام قائلاً: (أليس الله قد بعث مُحَمَّداً ﷺ من شجرة عبد مناف إلى الناس كافّةً، أبيضها وأحمرها وأسودها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول الله مبعوث إلى الناس كافّةً، وذلك قول الله عزّ وجلّ: (ولله ميراث السموات والأرض). فمن أين ورثتم هذا العلم؟ وليس بعد محمدٍ نبيّ، ولا أنتم أنبياء.).

قال الإمام: (من قوله تعالى لنبيّه: (لا تحرّك به لسانك لتعجل به). فالّذي لم يحرّك به لسانه لغيرنا، أمره الله تعالى أن يخصّنا به من دون غيرنا ولذلك قال علي عليه السلام: (علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، يفتح من كلّ باب ألف باب). خصّه به النبي، وعلمه ما لم يخصّ به أحداً من قومه، حتّى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا.).

والتاع هشام، ولم يدر ماذا يردّ عليه، ثم قال له: (سل حاجتك.).

قال الإمام: (خلّفت أهلي وعيالي مستوحشين لخروجي .).

قال هشام: (آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، فلا تقم وسر من يومك.).

## مع العالم النصراني

لما كان الإمام عليه السلام في الشام، التقى بنفر من النصارى كانوا متوجّهين لزيارة كبير علمائهم، وذلك بمناسبة أحد أعيادهم، فسار معهم وكان النصارى يعيشون في كنف الإسلام أحراراً، يمارسون طقوسهم وعباداتهم كيفما شاؤوا.

دخل الإمام الباقر عليه السلام على العالم النصرانيّ، وهو قسّيس كبير، ولما استقرّ به المجلس نظر إليه العالم وسأله وهو لا يعرفه:

منّا أنت، أم من الأمّة المرحومة؟

فأجابه عليه السلام: من الأمّة المرحومة.

فسأله: من علمائها أم من جّهالها؟

فأجابه: لست من جهّالها.

سأل العالم: أنتم الذين تزعمون أنكم تذهبون إلى الجنة؛ فتأكلون وتشربون ولا تحدثون؟

قال الإمام : نعم.

قال: هات برهاناً على هذا.

قال الإمام: نعم، الجنين يأكل في بطن أمّه من طعامها، ويشرب من شرابها، ولا يحدث.

فبهر العالم وقال: ألست زعمت أنّك لست من علمائها؟

فأجابه الإمام: إنّما قلت: لست من جهّالها.

واستمرّ الأخذ والرّد بينهما طويلاً، حتّى أفحم العالم، وأسقط في يده. فصاح بأصحابه مغضباً: والله لا أكلّمكم، ولا ترون لي وجهاً اثني عشر شهراً.

فقد توهّم أنّهم عمدوا إلى إدخال الإمام عليه، لإفحامه وإظهار عجزه.

وانتشرت قصّة الإمام مع العالم المسيحيّ في دمشق، وعرف الناس قدر الإمام الباقر عليه السلام، وإحاطته بشتّى العلوم والمعارف.

ووصلت القصة إلى مسامع هشام. وميلاً منه إلى مضايقة الإمام؛ أرسل مبعوثين إلى المدن الواقعة على الطريق إلى يثرب، فنشروا أكاذيب مؤدّاها أن ابن علي بن الحسين قد دخل ديراً

للنصارى، وأنّه مال إلى شريعتهم وصاروا يحرّضون الناس على مقاطعته؛ فلا يحدّثوه ولا يبايعوه، ولا يستضيفوه في بيوتهم، وأمروهم فوق ذلك أن يغلقوا الأبواب في وجهه.

## آيات العذاب

خرجت قافلة الإمام من دمشق في طريقها إلى المدينة، حتى وصلت إلى بلدة كبيرة، وكان الإمام ومرافقوه على قدرٍ كبير من التعب والعطش، فحطّوا رحالهم قرب البلدة للتزوّد بالماء والطعام قبل أن يتابعوا طريقهم، لكنّ أهل البلدة أغلقوا أبوابها في وجوههم والناس أخيراً على دين ملوكهم.

كان أفراد القافلة قد أتوا على كلّ ما معهم من ماءٍ وزادٍ، وقد أغلقت دونهم الأبواب. فحاروا في أمرهم..

اعتلى الإمام **عليه السلام** صخرةً هناك، وراح يتحدّث إلى أهل المدينة، وينصحهم بصبر ولينٍ، لكنّهم لم يستمعوا إليه، وأصرّوا بعنادٍ على موقفهم، ولما يئس منهم رفع صوته عالياً. وراح يتلو آيات

العذاب، التي تلاها النبي شعيب على قومه، وقال: (بسم الله الرحمن الرحيم. وإلى مدين أخاهم شعيباً، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلٍهٍ غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان، إنّي أراكم بخير، وإنّي أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ ).

ثم قال: يا أهل المدينة الظالم أهلها، أنا بقيّة الله.).

فما أتمّ كلامه حتى بادر شيخ من شيوخ المدينة، ونادى أهل قريته قائلاً: يا قوم، هذه والله دعوة شعيب، فاخشوا ربكم وافتحوا الأبواب أمام هذا الرجل الربّانيّ، فإن لم تفعلوا نزل بكم العذاب. يا قوم، إنّي أخاف عليكم، وإنّي لكم ناصح فاستمعوا.

خاف الناس من تحذير هذا الرجل الحكيم، وقد أدركوا أنّهم يخطون نحو العذاب، لأنّهم يقفون في وجه ابن نبيّهم، لا لشيءٍ إلاّ لينالوا رضى

هشام فبادروا إلى الأبواب وفتحوها، وراحوا يلتمسون من الإمام العفو والغفران.

نعم، ففي كلّ إنسان فطرة لابدّ أن تتحرّك، وضمير لابدّ أن يستيقظ.

## حياة حافلة

كان عصر الإمام الباقر عليه السلام، من أدقّ العصور الإسلامية، وأكثرها حساسيةً، فقد نشأ فيه الكثير من الفرق الإسلاميّة، وتصارعت فيه الأحزاب السياسيّة، كما عمّت الناس ردّه قويّة إلى الجاهلية وأمراضها، فعادوا إلى الفخر بالآباء والأنساب، ممّا أثار العصبيّات القبليّة، وعادت الصراعات القبلية إلى الظهور، وهذا ما شجّع عليه حكام بني أميّة، كما انتشرت مظاهر التّرف واللهو والغناء، والثراء الفاحش غير المشروع.

تصدّى الإمام عليه السلام لكلّ هذه الانحرافات، فأقام مجالس الوعظ والإرشاد، كي يحفظ لدين جدّه نقاءه وصفاءه.

كما تصدّى عليه السلام للفرق المنحرفة، فاهتمّ برعاية مدرسة (أهل البيت) التي أنشأها جدّه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم من بعده الأئمة الأطهار من ولده. وقد التفّ حول الإمام الباقر علماء كثيرون، نهلوا من صافي علومه ومعارفه في الفقه والعقيدة والتفسير وعلوم الكلام.

وبعد عمر قضاه في الدعوة إلى الله، ونشر العلوم والمعارف، كما قضاه في مقارعة البغي والظلم والانحراف عن الدّين؛ دسّت له السمّ يد أثيمة، لا عهد لها بالله ولا باليوم الآخر، يد من أيدي أعدائه بني أميّة، الذين خافوا منه سموّ خلقه، وعظيم تقواه، ورفعة منزلته، والتفاف الناس من حوله.

وانطوت بموت باقر علوم الأوّلين والآخرين، صفحة رائعة من صفحات الرسالة الإسلامية، أمدّت المجتمع الإسلاميّ بعناصر الوعي والتطوّر والازدهار.

## الإمام الصادق عليه السلام

**الاسم: الإمام جعفر الصادق عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام**

**اسم الأم: فاطمة**

**تاريخ الولادة: ١٧ ربيع الأول سنة ٨٣ للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تاريخ الاستشهاد: ٢٥ شوال سنة ١٤٨ للهجرة**

**محل الاستشهاد: المدينة**

**محل الدفن: المدينة (البقيع)**

### ما قبل الإمامة

باسمه تعالى

بعد ثلاث وعشرين سنةً من واقعة كربلاء، رزق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وليداً ذكراً أسموه جعفر، وأبوه هو الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام ، أمّا أمه فهي السيدة فاطمة. وجده هو الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهو كما نعرف، الرجل الوحيد الذي بقي من أهل البيت على قيد الحياة بعد فاجعة كربلاء.

عاش جعفر مع أبيه وإلى جانب جدّه زين العابدين، وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره، توفّي جدّه العظيم بعد حياةٍ مليئةٍ بالتقوى والعمل الصالح.

نشأ جعفر نشأةً صالحةً في بيت طاهر، تلّقى فيه أصول الصدق والإيمان، وقد لقّب فيما بعد بـ (الصادق)، أي الذي يقول الحقّ والصدق دائماً، وصار يعرف بـ ( جعفر الصادق ).

في تلك الأيام كان عبد الملك بن مروان حاكماً في بلاد المسلمين، وكان ممثله يدعى الحجاج بن يوسف، وهو رجل قاسي القلب عديم الرحمة، أنزل أشدّ العذاب والأذى بأصحاب وأهل أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، فكان يلقي بهم في السجون، وينكّل بهم، وكان بيت الإمام زين العابدين عليه السلام موضوعاً تحت مراقبة شديدة، وقد حظر على الجميع أن يقربوا هذا البيت الكريم، وفي الوقت الذي كان فيه أعداء آل البيت أحراراً يقولون ما شاءوا، فقد حرم أهل بيت الرسول من هذه الحرّيّة.

وبعد موت عبد الملك بن مروان استلم الحكم ابنه الوليد، وكان هذا أشدّ من أبيه ظلماً وجرأةً على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، كما كان يجهر بعدائه للإسلام وأحكامه، لكنّ حكمه لم يطل كثيراً، فتسلّمه من بعده عمر بن عبد العزيز.

كان الإمام الصادق عليه السلام، في تلك الفترة من الزمن قد تجاوز أيّام شبابه، وكان أبوه الباقر عليه السلام إماماً وقائداً للأمّة. وفي عهد عمر بن عبد العزيز لقي أهل البيت عليهم السلام معاملةً أفضل من

السابق، واستعادوا شيئاً من حرّيّتهم، وصار بمقدور الإمام الباقر عليه السلام أن يجلس إلى الناس، يحدّثهم ويعلّمهم أحكام الإسلام والقرآن الكريم، إلى جانب علوم أخرى كثيرةٍ. لكنّ حكم عمر بن عبد العزيز كان قصيراً جدّاً. وخلفه في الحكم هشام بن عبد الملك.

كان هشام رجلاً شديداً وقاسياً، لا يكتم بغضه لأهل البيت، وقد عانى الإمام الباقر كثيراً من شدة هشام، لكنّ قسوته - على أي حالٍ - لم تصل إلى درجة أسلافه. ويذكر أنّ هشاماً استدعى الإمام الباقر مرّةً، وطلب منه أن يسأله حاجةً يقضيها له، لكنّ الإمام طلب منه أن يدعه ليرجع إلى أهله في المدينة، ليتابع عمله في الوعظ والإرشاد. فوافق هشام، وعاد الإمام إلى المدينة، كما عاد إلى دروسه ومجالسه في مسجد جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وقد اجتمع حوله خلق كثير من طلاب العلم، والتحق بدروسه الشباب والشيوخ، ومنذ ذلك الحين، أصبحت عائلة الرسول صلى الله عليه وآله موضع اهتمام كبير من الناس، وكان الباقر على درايةٍ بعلومٍ كثيرةٍ، يتلقّاها عنه تلاميذه فينتشرون

في كلّ اتّجاه نحو المدن والقرى، يجلسون إلى الناس ويعلمونهم ما تعلموه من الإمام، حتى انتشرت أحكام الإسلام وعلومه ومعارفه انتشاراً كبيراً.

شعر أعوان هشام بالخطر الذي تشكّله مجالس الإمام في توعية الناس، وكشف الحقائق أمامهم، ولكن لم يكن بمقدورهم عمل شيءٍ، لأنّ حكم بني أميّة كان قد بدأ يتّجه نحو الضعف، وصار الناس في كل مكانٍ يجابهون عمّال هشامٍ ويتمردون على أوامرهم، وهكذا تمكّن الإمام عليه السلام من الاستمرار في دروسه، كما استمرّ تلاميذه بالازدياد والانتشار.

## جامعة أهل البيت عليهم السلام

توفّي الإمام الباقر عليه السلام سنة ١١٤ للهجرة، بعد أن أوصى بالإمامة لابنه جعفر الصادق عليه السلام، وقد ازداد خوف هشام بن عبد الملك من الإمام الصادق عن ذي قبل، لأنّه انصرف إلى متابعة أعمال أبيه، بهمّة ونشاط شابٍّ في الحادية والثلاثين، ممتلئ نشاطاً وحيوية، فاهتمّ بجامعة أهل البيت، التي أسّسها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، ورعاها من بعده أبناؤه

الأطهار، وخاصة أبوه الإمام الباقر عليهم جميعاً أزكى السلام، وشملت نشاطات هذه الجامعة كافة العلوم والمعارف، وكان لها دور كبير في صون الإسلام من الانحراف والتشويه، ونشر تعاليمه وأحكامه.

بعد موت هشام سنة ١٢٥ للهجرة، ازداد ضعف الحكم الأمويّ، وقامت في ذلك الوقت جماعتان تناهضان الحكم و تطالبان بالخلافة، والتحق بهما كل المعارضين للحكم.

كانت إحدى هاتين الجماعتين بقيادة أحد أبناء الإمام الحسين عليه السلام ، أمّا الثانية فكانت بقيادة أحد أبناء العباس، عمّ الرسول صلى الله عليه وآله ، قامت تطالب بالثأر لدماء الشهداء، وادّعت الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله .

كان كلّ هذا يجري في وقت انصرف فيه الإمام الصادق إلى العمل على نشر العلوم و المعارف عن طريق إقامة المجالس، التي كان يحضرها كل الذين ينازعون بني أمية الحكم، حتى أنّ العباس السفّاح والمنصور وغيرهما من كبار بني العباس، كانوا

يحضرون دروس الإمام، متظاهرين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

## الإمام عليه السلام في مواجهة الأحزاب

في خضم هذه الأحداث كانت كل من الجماعتين تسعى للتقرّب من الإمام الصادق عليه السلام والدعوة إليه، كي تضمن بذلك النجاح لدعوتهما هي.

أمّا آل الحسن فلم تكن دعوتهم قد استكملت نضوجها بعد، على النقيض من بني العباس، الذين كانوا أكثر تعطشاً للملك، فقد نجحوا في جمع الأنصار حولهم، وحول دعوتهم، لما كان الناس يعانونه من ظلم بني أمية، ولأنّ الناس كانوا يرون في حركتهم الأمل بالخلاص من هذا الظلم. كما أنّ بني العباس رفعوا شعار الثأر لدماء آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وشعار تحرير السجناء من سجون بني أمية، وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

وكان ممّن التحق بحركتهم رجلان من أصحاب النفوذ والقوّة في تلك الأيام، وهما أبو مسلمٍ الخراساني وأبو سلمة الخلاّل، وكانا يدعوان الناس

إلى مناصرة بني العباس ومحاربة بني أميّة، وكان لهما تأثير كبير في مجرى الأحداث. لكنّهما سرعان ما اكتشفا أنّ بني العباس لا يختلفون عن بني أميّة في شيءٍ، وأنّ ادّعاءاتهم بالثأر للشهداء والولاء لآل البيت كانت كاذبةً، تخفي وراءها أطماعهم.

عند ذاك وجّه أبو مسلم وأبو سلمة كتاباً للإمام الصادق عليه السلام، يعرضان عليه فيه أن يكون قائداً للتحرّك ضد الحكم الأموي، كما يعرضان عليه البيعة بالخلافة. لكنّ الإمام ما إن تسلّم كتابهما حتى أحرقه أمام الحاضرين في مجلسه، وكان تصرّفه هذا أبلغ رد على دعوة الرجلين، لأنّه يعلم حقّ العلم أنّهما يسعيان وراء مصالحهما الشخصيّة، وليس وراء مصالح المسلمين. وكنتيجةٍ لرفض الإمام لعرضهما، فقد التحقا بالسفاح والمنصور العباسيين، على أن يكونا وزيرين لديهما.

وأخيراً وبعد معركة كبيرة هزم فيها مروان بن الحكم آخر الحكّام الأمويين، وتسلّم الحكم أبو العباس السفاح، واسمه يغني عن وصفه. فعيّن أبا سلمة وزيراً له، وكانت نهاية أبي سلمة على يدي

رفيقه أبي مسلم فيما بعد.

كان السفاح يدّعي الميل إلى أهل بيت الرسول ﷺ ، وقد رفع شعار الثّأر لشهداء كربلاء، ولهذا كان مجبراً في أول عهده أن يسلك مسلك المداراة واللّين مع الإمام الصادق عليه السلام ، ولكن إلى حين.

## (الخمس) عامل استقلال

في تلك الأيام كان الفقهاء والعلماء يتقاضون حقوقهم من الدولة، وكانوا يرافقون الحكّام في تحرّكاتهم إلى المساجد وغيرها، ويحرصون على رضاهم وتبرير تصرّفاتهم، أولئك هم وعّاظ السلاطين، وكان الناس يدفعون إلى الدّولة أموال الخمس والزكاة والخراج، فتدفع الدولة حقوق عمّالها وموظّفيها، ومن جملتهم الفقهاء والعلماء، من هذه الأموال.

أمّا الإمام الصادق وأصحابه، فكانوا بعيدين كلّ البعد عن هذه الزمر من المنتفعين، لأنّ الإمام كان يعتبر الحاكم مغتصباً للخلافة، وأنّ التّعامل معه هو تعامل مع الطّغاة والظالمين. وكان أصحاب الإمام، وخاصّةً البعيدون منهم عن رقابة الحكّام، يؤدّون

الخمس والزكاة إلى الإمام، فينفقها في وجوهها الشرعية، وهكذا حفظ الله سبحانه وتعالى آل بيت رسوله من أي ارتباطٍ بأجهزة الحكم الظالم.

أدرك السفّاح العباسي أنّه لا يملك أي سلطةٍ على الإمام الصادق عليه السلام. كما أدرك أنّ حسابات الإمام في تحصيل الحقوق وفي وجوه إنفاقها، تختلف كثيراً عن حسابات الفقهاء والعلماء المرتبطين بأجهزته، فكان يستدعيه أحياناً إلى مقرّه في الأنبار قرب الكوفة، فيعاتبه حيناً بلهجةٍ لا تخفي مشاعره الحقيقيّة نحوه، أو يحاول استمالته أحياناً أخرى، غير أنّه لم يكن يجرؤ على إيذائه علناً، لأن هذا يتناقض مع ادّعائه الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله .

وفي سنة ١٣٦ للهجرة هلك السّفّاح، وحلّ محلّه أخوه المنصور.

## الإمام عليه السلام بمواجهه المنصور

كان المنصور يتمتّع بسمعةٍ طيّبةٍ بين الناس، الذين خدعتهم المظاهر، وكيف لا يكون كذلك؟ ألم يقاتل

طغاة بني أميّة سنواتٍ عديدة؟ ألم يقدّم مساعداتٍ جمّةً للسجناء العلويّين؟ ألم يتحدث كثيراً عن شهداء كربلاء؟ نعم، لقد تظاهر بكلّ هذا وبهذه الخلفيّة تربّع المنصور على كرسي الحكم.

أمّا الإمام الصادق عليه السلام، فقد كان يعرف المنصور حقّ المعرفة، فلكم حضر هذا مجالسه، وبادله الأحاديث، وسأله عن مسائل كثيرةأجل، كان يعرفه تمام المعرفة، وكان يدعوه بـ ( جبّار بني العبّاس ).

كان سلوك المنصور نحو الإمام يتّسم في البداية بالاحترام الشديد، فكان يدعوه إليه ويجلسه إلى جانبه، ويأمر أولاده بالجلوس إليه، والتزوّد من علومه وإرشاداته. وكان يرمي من وراء هذا التصرّف إلى احتواء الإمام واستمالته إليه، فيجعله كباقي فقهاء العامّة، أداة في يده، وستاراً يخفي وراءه أطماعه وسوء مقاصده، لكنّ الإمام خيّب آماله وسفّه أحلامه، فلم يستجب إلى محاولاته، ولم يقع في شراك فخاخه، بل على النّقيض من ذلك، كانت آراؤه وتعليماته في هذا الصدد واضحةً، يعرفها كافّة أصحابه عليهم السلام، وهي أنّ المنصور وأمثاله من الحكّام،

طغاة مغتصبون للخلافة وأنّ التّعاملمعهم حرام ومجلبة لغضب الله تعالى.

ومن جهةٍ أخرى فقد أوصى الصادق عليه السلام أصحابه وتلاميذه بالحذر الشديد. وأن يتجنّبوا الفقهاء الذين يعملون لحساب السلطة، وأن يمتنعوا عن مراجعتهم؛ كما حذّرهم من الجهر أمامهم بالخصام دفعاً لشرّهم، وكانت وصيّته الدّائمة (كونوا لنا دعاةً صامتين ).

وحين لم يجد المنصور سبيلاً إلى أصحاب الإمام عليه السلام ، بدأ العمل على مضايقتهم وتشتيت جموعهم، وحال دون حضورهم مجالس الإمام عليه السلام ، وكان من ناحيةٍ أخرى، يكثر من استدعاء الإمام إليه بين وقتٍ وآخر، فيعاتبه على مواقفه منه حيناً أو يحذّره حيناً آخر. وهو في قرارة نفسه يتمنى لو يقتله بيديه، لكنّه أمام عجزه حيال الإمام كان ينفث أحقاده في أصحابه، فيعتقل المعروفين منهم ويستجوبهم ليبوحوا بأسماء الآخرين، ونتيجةً لذلك فقد تمّ اعتقال الكثيرين من آل علي عليه السلام ، وكان بعد تعذيبهم يأمر بقتلهم سراً ودفن جثثهم في الأنبار، غير أنّ همّه الكبير كان أن يتخلّص من الإمام الصادق نفسه، لكنّ

العناية الإلهية كانت تتدخّل فتفسد عليه ما يبيّته من مكرٍ.

يروى أنّ المنصور عزم يوماً على قتل الإمام، فأمر بإحضاره إليه ليلاً، وكان يقول: قتلني الله إن لم أقتله ولما أدخل إلى مجلسه سلّم عليه فلم يردّ السلام، ورفع رأسه وهو يتميّز من الغيظ وقال: يا جعفر، أنت الذي تؤلّب عليّ الناس وتحرّضهم على الثورة؟ لكنّ الإمام، وبهدوءٍ شديدٍ، أنكر عليه ادّعاءه، وأثبت له أنّ ما وصله عنه من أقاويل مصدره خصوم آل البيت، وبعد أخذٍ وردٍ سكن المنصور وقال: أظنّك صادقاً ثمّ أمر بإعادته إلى بيته معزّزاً مكرّماً، ويقال إنّ المنصور استدعاه على هذا الشكل نحواً من ثماني مرّاتٍ، وهو حاقد عليه يريد قتله، ثمّ يتراجع بعد رؤيته، ويجد نفسه مضطرّاً لإكرامه وتعظيمه.

ولم يكن مبعث هذا التراجع إحساساً مفاجئاً بالرحمة، فالرحمة لا سبيل لها إلى قلب المنصور، ألم يمزّق بسيفه وبيديه جسد وزيره أبي مسلم قطعةً قطعةً، وفي هذا المجلس بالذّات؟ ألم يسفك دم المئات من المؤمنين الطاهرين؟ لا، بل إنّه الخوف،

أجل. كان المنصور الرّهيب يحسّ بالخوف حين يرى الإمام عليه السلام، ولا يملك نفسه أمام هدوء الإمام ووقاره، من الإحساس بالاحترام لهذا الرجل الكبير.

فيبرّر تراجعه بأنّ الوشاة أخطأوا بحقّ الإمام هذه المرّة أيضاً، ويقول: أظنّك صادقاً

ويروى عن المنصور قوله: كنت كلّما هممت بقتله، تراءى لي وجه رسول الله، فيغمزني الخوف، وتعجز يدي عن الحركة.

## انتشار مدارس الإمام عليه السلام

تابع الإمام الصّادق دروسه في كلّ محيط، وكثر عدد تلاميذه الذين كانوا ينتشرون في كلّ اتّجاه، وينشرون تعاليمه بين الناس، وقد توزّعوا إلى فئاتٍ متعدّدةٍ، تقوم كلّ منها بنشاط معيّن؛ فمنهم من كان يجلس في المساجد ويعلّم الناس أحكام الفقه، ومسائل الأصول، وأحكام الحلال والحرام، وبعضهم كان يعلّم التفسير، ويقوم بالرّدّ على ما يطرحه الناس من أسئلةٍ أو إشكالات، والبعض الآخر يتصدّى للمنحرفين وما ينشرونه من مفاهيم خاطئةٍ، وآخرون

يطلعون الناس على حقائق الكون ومعرفة الخالق سبحانه، وأمور الخير والشرّ، والتوحيد والمعاد، والإمامة والقيادة، وكان دعاة الإمام يتجوّلون بصفة تجّار تضليلاً لجواسيس الطّاغية.

كما أنّ المنصور بدوره لم يكن ليقعد ساكناً، فكان يواجه مدارس الإمام عليه السلام بالمعارضة والشدّة، كلّما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان يرسل أشخاصاً لحضور دروس الإمام، ثم ينطلقون فينشرون الرّوايات الكاذبة والأحاديث المزوّرة عن لسانه، كما كان عملاؤه يروون أحاديث المديح بحقّ الحكّام من بني العباس، ويدعون إلى طاعتهم، إضافةً إلى ذلك فقد خصّص المنصور العديد من الفقهاء، فرتّب لهم الأعطيات، وكلّفهم بإنشاء المدارس التي تعارض مدارس الإمام، فتبثّ بين الناس مفاهيم مغلوطةً، وأحاديث مزوّرة، وقد ساعد هذا العمل على ظهور العديد من المذاهب الكبيرة في الإسلام. ولا يمكن منطقيّاً للفقهاء والعلماء الذين يتقاضون رواتبهم من السلطة إلاّ أن يعملوا وفق مصلحة هذه السلطة، وكانت مصلحتها تكمن في التّصدّي لمذهب الإمام

الصادق عليه السلام وتسفيه أحكامه، مع أنّه هو مذهب آل بيت الرسول، نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً؛ ولكن هيهات؛ فنور الشمس لا يمكن حجبه بإصبعٍ أو أصابع.

وممّا يذكر في هذا المقام، أنّ الإمام عليه السلام. تصدّى بنفسه لكلّ هذه الانحرافات، وعقد لهذا الأمر مجالس ومناظرات كثيرةً، فناظر فريقاً من العلماء والمتكلّمين، كما ناظر الزّنادقة والملحدين، بأسلوب هادىءٍ رصينٍ، مدعوم بالحجج والبراهين، التي لم تدع لمناظريه مخرجاً إلا التسليم بصواب رأيه.

استطاع تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام أن يجمعوا ما يقرب من أربعمئة كتاب، كبيرٍ وصغير، ضمّنوها أقوال الإمام بعد أن سمعوها منه، وحفظوها في تلك الكتب بكل دقّة. وقام بعد ذلك عدد من علماء الشيعة الكبار، فجمعوا زبدة تلك الكتب الأربعمئة، واستخلصوا منها أربعة كتب كبيرة، هي الكتب الأربعة الشهيرة، التي تشمل أكثر الروايات في الفقه والأحكام عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام،

بالإضافة إلى كتب غيرها في علم طبقات الأرض، وعلوم النّبات والكيمياء والجغرافية، وعلومٍ أخرى، وقد تمّ جمعها بواسطة تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام ، ولا يزال قسم منها باقياً حتى اليوم.

## استشهاد الإمام عليه السلام

قيل للمنصور في أحد الأيام، وكان قد أتمّ القضاء على الكثيرين من آل علي عليه السلام : الشّكر لله يا أميرالمؤمنين، فقد تخلّصت أخيراً من كلّ خصومك قال المنصور: لا، فالأمر ليس كذلك؛ فأنا لن أحسّ بالرّاحة طالما كان جعفر بن محمدٍ على قيد الحياة.

لم يمض على هذا الحديث وقت طويل، حين أعلن أنّ الإمام الصادق عليه السلام ، قد توفّي في المدينة مسموماً. وكان في الخامسة والسّتين من عمره الشّريف.

ولما وصل خبر استشهاد الإمام إلى المنصور، بدأت دموع التّماسيح تنهمر على وجهه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثمّ سارع فكتب إلى واليه على

المدينة، مُحَمَّد بن سليمان، كتاباً جاء فيه: إن كان جعفر بن مُحَمَّد قد أوصى إلى رجل بعينه، فقدّمه واضرب عنقه. يريد بذلك أن يتخلّص من وصيّ الإمام عليه السلام. لكنّ الإمام كان أقدر منه على ترتيب الأمور، وأصوب إلهاماً وتفكيراً. فقد نصّ عليه السلام على إمامة ولده موسى بن جعفر من بعده، أمام عددٍ من أصحابه المخلصين، ثمّ عمد إلى كتابة وصيّة، هي التي وقعت في يد عامل المنصور على المدينة فيما بعد، وجاء فيها أنّه أوصى إلى خمسةٍ وهم: أبوجعفر المنصور، ومُحَمَّد بن سليمان والي المدينة، وعبد الله الأفطح، ابن جعفر، وموسى بن جعفر، وحميدة زوجته.

حار الوالي في أمره، فكتب إلى المنصور يعلمه بفحوى الوصيّة، وحين عرف المنصور جليّة الأمر أسقط في يده وقال: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل وهكذا فوّت الإمام بحسن تقديره وثاقب تفكيره على المنصور فرصة البطش بالإمام من بعده.

كانت وفاته رحمه الله سنة ١٤٨ للهجرة، ودفن بالبقيع إلى جانب أبيه وجدّه، وجدّته الزهراء، وعمّه

الحسن رضوان الله وسلامه عليهم. وكانت حياته الشريفة حافلة بالأحداث الجسام، في فترةٍ حسّاسةٍ من التاريخ الإسلامي، وعهد يشكل منعطفاً هامّاً في مسيرة الحياة الإسلامية، طبعه عليه السلام بطابعه الشريف، حتى سمّي بحقٍّ ( عصر الإمام الصادق )، كان عصراً اختلطت فيه المفاهيم، وتضاربت الآراء والمذاهب، يأخذ بعضها - على كثرتها - برقاب بعض، واحتاج الأمر إلى فيصل صدقٍ يميز خبيثها من طيّبها، فكان الإمام الصادق عليه السلام خير فيصل لهذا الأمر. ولا تزال تعاليمه ومواقفه إلى اليوم فيصل صدقٍ بين الحقّ والباطل. ولا تزال كلماته وحكمه مناراً يهدي إلى سواء السّبيل.

## الإمام موسى الكاظم عليه السلام

**الاسم: الإمام موسى الكاظم عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام الصادق عليه السلام**

**اسم الأم: حميدة**

**تاريخ الولادة: ٧ صفر سنة ١٢٨ للهجرة.**

**محل الولادة: الأبواء (بين مكة والمدينة)**

**تاريخ الاستشهاد: ٢٥ رجب سنة ١٨٣ للهجرة.**

**محل الاستشهاد: الكاظميّة.**

**محل الدفن: الكاظميّة.**

## عصر الباقر والصادق عليهما السلام

باسمه تعالى

واكبت حياة الإمام الباقر عليه السلام فترة يقظة عند الأمة الإسلامية، يرافقها ضعف وانحسار في قدرات بني أمية. وكانت كل بضع سنوات تنكشف عن قيام جماعة ثائرة في وجه حكام بني أمية، يفضحون ظلمهم وجورهم ويعيدون إلى الذاكرة ما قاساه السجناء العلويون، ويدعون الناس للقيام والثأر لشهداء كربلاء وغيرهم.

في هذه الفترة، وقد أدرك الأمويون استفحال خطر الثورة والعصيان على حكمهم، اضطروا للتخفيف من عدواتهم لأهل بيت الرسول، وتجنب قتلهم وتعذيبهم وسجنهم علناً.

في هذه الظروف كان الإمام الباقر عليه السلام يقيم مجالس الدرس في المدينة وعلى أطرافها، وكانت دروسه تشمل كافة العلوم الإسلامية من عقائد

وأحكام وتفسير للقرآن الكريم وشرح للسنة الشريفة.

بعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام اشتدت الثورات المناهضة لحكم بني أمية، واتسعت رقعتها، وصار الناس أكثر ميلاً لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله .

سار الإمام الصادق عليه السلام على درب أبيه، فتابع رعاية مدرسةٍ كبيرةٍ كانت تضم الكثيرين من الطلاب وتعرف بـ (جامعة أهل البيت). وتقاطر الناس من جميع الأقطار الإسلامية نحو المدينة، كي يسمعوا ويتعلّموا أحكام الدين الحنيف وغيرها من العلوم، من صادق آل محمدٍ عليه السلام ، خاصة وأنّ تدوين الأحاديث كان ممنوعاً منذ ما قبل عشر سنواتٍ من عهده عليه السلام ، وتقلب على دروس الإمام في بحر ثلاثين عاما ما ينوف على أربعة آلاف باحثٍ ومتعلم، ومن بينهم كثيرون من زعماء الحركات وقادة الجماعات والأحزاب. كما عرفت مجالسه المخالف والموافق والعدو والصديق من كل الفرق، دون أن يستطيع بنو أمية الوقوف في وجه هذا الإقبال العارم على دروسه عليه السلام .

وفي سنة ١٣٢ للهجرة سقط الحكم الأموي،

وتسلّم السلطة بنو العباس في شخص أبي العباس السفّاح، وخلفه من بعده أخوه أبوجعفر المنصور.

كان المنصور من حضور درس الإمام، ولطالما استمع إلى أقواله ومواعظه، وكان - لذلك - على معرفة تامة بطريقه وطريقته. وقبل وصولهم إلى الحكم، كان السفاح وأخوه، ويعقوب بن داود، وأبو مسلم الخراساني، وأبو سلمة الخلال من كبار ذلك العصر، ومن أشدّ الناس عداءً للأمويين، وكانوا يتظاهرون بالحزن على السجناء العلويين المظلومين، والغضب للدماء التي أريقت في كربلاء، لكنهم بعد ظفرهم، صاروا يكشفون شيئاً فشيئاً عن خبيئة نفوسهم، وحقيقة مطامعهم، وجهروا بالعداء لأهل بيت الرسول. وما لبثوا أن ملأوا منهم السجون، ووضعوا في رقابهم السيوف.

في ذلك العهد، كان اسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام يزداد شهرةً على شهرته في كافّة أنحاء العالم الإسلامي، وكان المنصور - كما قلنا - على معرفةٍ تامةٍ بمدى نفوذ الإمام، كما كان يدرك سموه وفضله وعلمه، وقد عاين بنفسه إقبال الناس على

دروسه، فصمم على تعطيل هذه الدروس بأي ثمن، وأخفى نواياه في بداية الأمر، لكنّه لم يلبث أن جهر بها، وتشدد في ملاحقة أنصار الإمام ومريديه. وكان قد عيّن رجلاً سفّاكاً والياً على المدينة هو مُحَمَّد بن سليمان، وكلفه بمراقبة الإمام والتضييق عليه. لكنه كان يحصد الفشل إثر الفشل.

## الوصية العجيبة

في سنة ١٤٨ للهجرة توفي الإمام الصادق عليه السلام مسموماً، ولما بلغ النبأ المنصور أرسل إلى واليه على المدينة يأمره بالتنقيب عن وصية الإمام ليعرف الوصي الذي عيّنه من بعده. وأمره أن يقبض على هذا الوصي ويضرب عنقه فوراً.

قام الوالي بتفتيش بيت الإمام، فعثر على الوصية وقرأها، وكان مضمونها أنّ الإمام يوصي من بعده لخمسة أشخاص هم: المنصور نفسه، والوالي مُحَمَّد بن سليمان، وولداه موسى الكاظم وعبد الله الأفطح، وزوجته حميدة.

حار الوالي في أمره، وأرسل للمنصور يعلمه بمضمون الوصية ويطلب تعليماته. لكنّ المنصور كان

أكثر منه حيرةً وذهولاً، بعد ما رآه من ذكاء الإمام وسعة إدراكه، وعرف أنّه عليه السلام قد حسب لكل شيءٍ حسابه، وقال آسفاً: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيلٍ.

## الإمام الكاظم عليه السلام

تسلم الإمام موسى الكاظم عليه السلام الإمامة، في حين كان العامة من الناس يعرفون المنصور قائداً للمسلمين وخليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان جواسيس المنصور منتشرين في كلّ مكان، يحصون على الناس أنفاسهم كي يتوصّلوا إلى معرفة اسم الإمام، وكانوا يمسكون بأي شخصٍ يثير شكوكهم، ويسومونه شتّى أنواع العذاب.

وضع المنصور بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام خططاً كثيرةً لإطفاء شعلة التشيع، فأوجد فرقاً كثيرة مختلفة. وقام بشراء مجموعة من الفقهاء، وعّاظ السلاطين في ذلك الوقت، وطلب إليهم - بعد أن أغرقهم بالأموال - أن ينشئوا مدارس تواجه مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، وتميل بالناس عن التوجه نحو أهل البيت، وهيّأ لهم كافة الوسائل، وصار أعوانه يحثّون الناس على التوجه نحو مدارسهم. وكان عهده من أكثر

العهود ظلاماً ومرارةً في التّاريخ الإسلاميّ، فقد بلغ ما أوجده من الفرق المختلفة عدداً يربو على مئة فرقة.

كان الإمام الكاظم عليه السلام، قد عاش مع أبيه عشرين عاماً، وكان على دراية تامّة بممارسات المنصور المعادية لأهل البيت عليهم السلام. وكان اسمه في ذلك الوقت ما يزال مكتوماً ومجهولاً، إلاّ عند بعض الخاصّة، وكانوا قلةً لا يجرؤون على التحدّث بشأنه جهراً، خوفاً من جواسيس المنصور، وكانوا يلقون شتى المصاعب في نقل تعليماته وتوجيهاته إلى أنصاره، أولئك الأنصار الذين باتوا حيارى لا يدرون لمن يرجعون في أمور دينهم، وأحد هؤلاء هو (هشام بن سالم) وسنعرف من قصّته التي سيرويها بنفسه مبلغ الحيرة التي كانت تلف أنصار الإمام عليه السلام.

## قصة هشام بن سالم

قال هشام: (كنا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام )أنا ومُحَمَّد بن النعمان صاحب الطاق، والناس مجتمعون على عبد الله (الأفطح) بن

جعفر على أنّه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه وسألناه عن الزّكاة، فعجز عن إجابتنا، وتبيّن لنا أنّه بعيد عن العلم والمعرفة، وما هكذا يكون الإمام، وخرجنا من منزله لا ندري إلى أين نتوجّه، وإلى من نقصد. فبينما نحن كذلك، وإذ برجل شيخ لا أعرفه يومئ إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون المنصور، وقد كان له بالمدينة جواسيس يتحرّون له من يجتمع عليه الناس بعد جعفر بن مُحَمَّد عليه السلام، ليأخذه ويضرب عنقه، فخفت أن يكون منهم، وقلت لصاحبي: تنحّ، فإنّي خائف على نفسي وعليك، وهو لا يريد سواي، فتنحّى عني بعيداً، وتبعت الشيخ، لظنّي بأنّي لا أقدر على التخلّص منه، فما زلت أسير معه، وفي ظنّي أنّي أسير إلى الموت، حتى ورد على باب أبي الحسن موسى عليه السلام، ثم تركني ومضى.

فإذا خادم بالباب، فقال لي: ادخل رحمك الله، فدخلت، فإذا أبوالحسن عليه السلام. فقلت له: جعلت فداك، مضى أبوك، قال: نعم. قلت: فمن لنا بعده؟ قال: هداك الله إلى ما تريد. قلت: جعلت

فداك، إنّ عبد الله أخاك يزعم أنّه الإمام بعد أبيه، فقال: إنّ أخي عبد الله يريد أن لا يعبد الله. قلت: جعلت فداك، فمن بعد أبيك. فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك. قلت: فأنت هو؟ قال: لا أقول ذلك

فقلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة. قلت له: عليك إمام؟ قال: لا.

فدخلني منه شيء لا يعلمه إلاّ الله إعظاماً وهيبةً. ثم قلت له: جعلت فداك، أسألك كما كنت أسأل أباك؟ قال: تخيّر ولا تذع، فإن أذعت فهو الذّبح فسألته، فإذا هو بحر (لكثرة علمه ومعارفه )، ثم قلت له: إنّ أصحابك ضلال (أي تائهون لا يدرون من إمامهم)فأدعوهم إليك؟ قال: من أنست منه رشداً (أي عرفت أنّه رشيد عاقل) فخذ عليه الكتمان، فإن أذاع فهو الذبح، وأشار بيده إلى حلقه.

ولما خرجت من عنده، لقيت صاحب الطّاق، فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى. وحدّثته بما جرى).

وأخذ أمر الإمام عليه السلام ينتشر، حتى اهتدى إليه أكثر أصحاب أبيه، ورجعوا إليه في مشاكلهم وأمور دينهم،

بالرّغم من الرقابة الشديدة التي وضعها المنصور، لذلك فلم يكن هناك حديث عن مجالس الدرس والحديث وغيرهما من العلوم في أيّام المنصور، واقتصر الأمر على عدد قليل من أنصار الإمام، يحضرون إليه تحت أعذار مختلفة، حيث يأخذون عنه المعارف والعلوم الإسلامية، ويكتبونها، ثمّ يقومون بنقلها إلى الناس، في حذرٍ واحتياطٍ شديدين.

كان أنصار الإمام يكتبون أحاديثه ورواياته بأسماء مختلفةٍ، وكانوا يشيرون إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام باسم (الرجل الصالح) أو (العالم) أو (ذاك الرجل). وكي لا يقعوا في أي إشكال، كانوا يكتبون أيضاً آراء فقهاء القصر، ويردفون آراء الإمام فيما بينها، كي لا يتمّ التعرف إليهم وإنزال الأذية بهم.

## أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام

في هذه الظروف والمصاعب، كانت تعاليم الإمام عليه السلام تنتشر على أيدي أصحابه الأوفياء وتميّز ممّن نقلوا هذه التعاليم ثلاثمئة شخص كانوا أصحاب كتب ورسائل ومخطوطاتٍ، استطاعوا أن ينقلوا كتاباتهم إلى الأجيال القادمة، ومن بين هؤلاء،

ستة عرفوا بالصدق والأمانة، وأجمع الرواة على تصديقهم وقبول رواياتهم عن الإمام، وهؤلاء الستة هم:

يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى، ومُحَمَّد بن عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد بن محمدٍ. وكانت أقوالهم مقبولة موثوقة، ويعدّون من أقرب أصحاب الإمام إليه.

أمضى هؤلاء الستة حياتهم في التصدي لطواغيت زمانهم، وعملوا على نقل الأحاديث والعلوم القرآنية والإسلامية الصحيحة إلى الأجيال بعدهم.

كان يونس بن عبد الرحمن عالماً ورعاً، يعتبره الناس سلمان عصره (تشبيهاً له بسلمان الفارسي(، قضى حياته في تأليف الكتب وتدوين الأحاديث، وكان من المقرّبين إلى الإمام، الأمر الذي جعله دوماً عرضةً للملاحقة من قبل جواسيس السلطة.

أمّا مُحَمَّد بن عمير فكان من كبار أهل زمانه، وقد كتب عن الإمام رواياتٍ وأحاديث كثيرة، وكان أيضاً من المقرّبين إلى الإمام، ولما اشتدت ملاحقة أعوان الرّشيد له، أخفى ما كتبه تحت التراب. وقد ألقي به

أخيراً في السجن، وذاق شتى صنوف العذاب، لكنّه صمد ولم يفش اسم أحدٍ من أصحاب الإمام. وبعد أن أطلق سراحه. ذهب في طلب كتبه، فإذا بها قد اهترأت بكاملها.

توفّي الإمام في ذلك الوقت، فسارع ابن عمير إلى تدوين كل ما استطاع تذكّره من روايات وأقوال الإمام عليه السلام، وقد تقبل العلماء كتاباته على أنّها روايات صحيحة، وعملوا بها.

وهذه اللّمحة الموجزة عن رجلين فاضلين من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام .تعطينا صورة عما كانوا يقاسونه في سبيل الإسلام، وفي سبيل حفظ تعاليمه نقيّةً صحيحةً، بعيدةً عن تحريف الحكّام والفرق الدينية المنحرفة.

## قصة صفوان بن مهران

يجدر هنا أن نذكر قصة شخصيةٍ أخرى من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وصاحب هذه الشخصية رجل يدعى (صفوان بن مهران) ويعرف بالجمال (وهو غير صفوان بن يحيى الذي تقدّمت الإشارة إليه).

كان صفوان رجلاً ثرياً يمتلك الكثير من الإبل، التي كان أصحاب القوافل يستخدمونها في التنقل بين بغداد ومكة، وغيرهما، كما كان هارون الرشيد يستأجر جماله لهذا الغرض.

دخل صفوان على الإمام الكاظم يوماً فقال له:

يا صفوان، كل شيءٍ منك حسن جميل، ما خلا شيئاً واحداً.

قال صفوان متعجّباً: جعلت فداك، أي شيءٍ هو؟

قال الإمام : إكراؤك جمالك من هذا الرجل. (يعني هارون الرشيد).

قال صفوان: والله ما أكريته لصيدٍ أو لهوٍ، ولكني أكريته لهذا الطريق (يعني طريق مكة(. ولا أتولاّه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

قال الإمام: يا صفوان، أيقع كراك عليهم؟ (أي هل تتقاضى أجرة جمالك من هارون وجماعته؟).

قال صفوان: نعم، جعلت فداك.

قال الإمام: أتحبّ بقاءهم حتّى يخرج كراك؟

(أي أتحبّ بقاء هارون الرشيد حتى لا تضيع عليك أجرة إبلك؟).

قال صفوان: نعم.

قال الإمام: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فقد ورد النار.

فقام صفوان من عنده، وباع جماله من ساعته. فبلغ ذلك هارون الرشيد، فغضب غضباً عظيماً. لكنّه أخفى غضبه، واكتفى بلوم صفوان، نظراً لما لصفوان من مكانةٍ واحترامٍ بين الناس.

الإمام الكاظم عليه السلام وحكّام عصره

نعود الآن لنعرض ما جرى للإمام عليه السلام مع حكّام عصره من العباسيين؛ أمثال المنصور والمهدي والهادي وهارون الرشيد.

طوى عليه السلام عشر سنواتٍ من إمامته في عهد المنصور، وكانت من أقصى أيام حياته، وأشدّ أيّام الإسلام ظلاماً وشدّةً، فقد كان المنصور يلقي القبض على أصحاب الإمام مجموعةً بعد أخرى، ثم يقضي عليهم بعد أن يسومهم صنوفاً من التعذيب، ويدفن

أجسادهم في السّجون سراً، وقد اكتشف الأمر بعد موته، إذ فتحت السّجون، وعثر فيها على الجثث والعظام، وعرف الناس ما ارتكبه هذا الطاغية من مظالم، في تلك السجون الرهيبة.

وبعد هلاك المنصور، خلفه ابنه الغبيّ الماجن، المهدي العباسي، وكان هذا لا يخفي عداوته لأهل بيت الرسول، غير أنّه لم يبلغ مبلغ أبيه في القسوة والتنكيل. وقد تحسن وضع المساجين قليلاً في عهده.

حاول المهدي مرّة مضايقة الإمام عليه السلام، فاستدعاه إلى بغداد، ورمى به في السجن، لكنّه بعد حلم مرعب أبصره في إحدى الليالي، سارع إلى إطلاق سراحه، وأعاده إلى المدينة مكرّماً. وقد تعدّدت لقاءاته به مراتٍ خلال حكمه القصير، وجرت بينهما في إحداها محاورة تناولت قصة (فدك)، وهي المزرعة التي قدّمها الرسول صلى الله عليه وآله لابنته نحلةً (أي هبةً)، لكنّها انتزعت منها بعد وفاته، وتناقلها الحكام فيما بينهم.

ويروى أنّ المهدي العباسي عرض على الإمام الكاظم عليه السلام. أن يردّ له مزرعة (فدك)، فرفض

قبولها. ولما سأله عن سبب رفضه أجاب بأنّه لا يقبلها إلا بحدودها، فسأله: وما حدودها؟ فأجاب: إنّي إن حددّتها لم تردّها، فألحّ عليه المهدي، فحددّها عليه السلام كما يلي:

الحدّ الأول: عدن إلى الجنوب. فتغيّر وجه المهدي، ثم قال عليه السلام: والحد الثاني: سمرقند إلى الشرق، فاربد وجهه، ثم قال: والحدّ الثالث: إفريقية إلى الغرب، فقال المهدي: والحدّ الرابع؟ قال: سيف بحر الخزر وأرمينية. عندها قال المهدي: لم يبق لنا شيء. فتحول إلى مجلسي. (أي تفضّل واجلس مكاني على العرش(. فكان جواب الإمام عليه السلام: لقد أعلمتك بأنّي إن حدّدتها، لم تردّها.

ويتبيّن من هذه الحادثة أنّ الإمام عليه السلام، كان يرمي إلى إفهام المهدي العباسي، أنّ البلاد الإسلامية كلّها في ذلك الحين، هي حقّ لأهل بيت الرّسول صلى الله عليه وآله ، وقد اغتصبت منهم، وليس مزرعة (فدك) فحسب، وأنّ المغتصبين لها هم الحكّام العباسيّون، والأمويّون من قبلهم. وهذا معنى قوله عليه السلام: إنّي إن حدّدتها، لم تردّها.

لم يدم حكم المهدي العباسي طويلاً، حيث خلفه ابنه الهادي. وكان هذا رجلاً ضعيفاً، كما كان عهده قصيراً أيضاً، وخلفه من بعده ابنه هارون الرّشيد.

## قصّة علي بن يقطين

كان هارون الرشيد أكثر الحكّام العباسيين قوةً واقتداراً، وشرع منذ بداية حكمه بالتضييق على العلويين وسجنهم وتعذيبهم، وحتى قتلهم. مما دعا الإمام إلى توصية أصحابه بالتخفّي، كي لا يقعوا في أيدي السفّاكين من أعوان الرشيد. وساعدهم هذا التخفي على نشر تعاليم الإسلام في جميع أنحاء العالم الإسلامي الواسع، كما استطاعوا العمل خفيةً في دوائر الدولة، وفي قصر الرشيد بالذات، الأمر الذي مكنهم من مساعدة المظلومين والمضطهدين. ومن أولئك رجل يعرف باسم (يقطين).

كان يقطين في البداية من خصوم بني أمية، وكان يدعو الناس للثورة، وتعرّف من خلال ذلك على السفاح والمنصور العباسيين، ونشأت بينهم صداقة قوية. وبعد انتصار العباسيين تولّى يقطين مناصب

مهمّةً في الدولة، وكان رجلاً مؤمناً صالحاً ، ينفق أمواله في وجوه البرّ والإحسان، كما كان عوناً للمؤمنين. وقد عيّنه المنصور أخيراً قائماً بأعمال ديوانه.

كان ليقطين ابن اسمه علي، وكان علي كأبيه من خيرة أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ، يتردّد عليه في الخفاء، وبعد موت أبيه يقطين حلّ مكانه، ثم توصّل إلى الوزراة في قصر هارون الرشيد، والرشيد لا يدري شيئاً عن ميوله.

كان عليّ بن يقطين يؤدي خمس وزكاة أمواله إلى الإمام بصورةٍ سريةٍ، وفكّر مرة بترك عمله في قصر الرشيد، لكنّ الإمام أوصاه بالبقاء، ليكون عوناً للمؤمنين.

ويروى أن الرّشيد أهداه يوماً ثوبا فاخراً منسوجاً بالذهب يلبسه الملوك، ويسمّى (الدّارعة)، فلما تسلّمها أهداها من فوره إلى الإمام مع مبلغ من المال بمثابة سهمه من الخمس والزكاة. فقبل الإمام المال وردّ الدارعة مع الرّسول وكتب إليه: احتفظ بها ولا تخرجها عنك، فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها.

تأثّر عليّ لردّ الإمام هديّته، لكنّه احتفظ بها، وجعلها في سفطٍ (وهو وعاء يعبّأ فيه الطيب وما يماثله(، مع بعض العطور، وختم عليها.

بعد مدة، غضب علي على غلامه، وكان الغلام يعرف ميوله إلى الإمام الكاظم عليه السلام ، فسعى من فوره إلى الرّشيد وقال له: إنّ علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم، وإنّه يحمل إليه زكاة وخمس أمواله، وقد حمل إليه الدّارعة التي أكرمتها بها.

اشتعل الرشيد غضباً حين سمع بذلك وقال: لأكشفنّ هذا الأمر، فإن صحّ عليه أزهقت روحه. ثمّ أرسل يستدعيه في الحال، ولما مثل بين يديه قال له: ماذا فعلت بالدّارعة التي كسوتك بها؟ فقال: هي عندي يا أميرالمؤمنين، في سفط مختومٍ فيه طيب، فقال له الرّشيد: أحضرها الساعة.

استدعى ابن يقطينٍ أحد الخدم وأمره بإحضار السفط بعد أن عين له مكانه، فلم يلبث الغلام أن عاد مسرعاً، ومعه السفط مختوماً، فوضعه بين يدي الرشيد، الذي فتحه ووجد الدّارعة فيه على حالها، فسكن غضبه وقال: ردّها إلى مكانها وانصرف

راشداً، ولم أصدّق عليك بعد اليوم ساعياً (أي واشياً(. ثم أمر بضرب الساعي ألف سوطٍ، فمات تحت السياط.

وعرف علي بن يقطينٍ بعد هذه الحادثة لماذا ردّ له الإمام الدّارعة.

هذه الحادثة، وحوادث أخرى مشابهة كشفت لعين الرّشيد مدى ما يتمتّع به الإمام من قدرة ونفوذ، إضافةً إلى ما ينقله إليه الوشاة والمغرضون من أخباره، وقد استدعى الرشيد مرةً علي بن إسماعيل، ابن أخي الإمام الكاظم بناءً على نصيحة يحيى بن خالد البرمكيّ، عدوّ الإمام، والذي يعرف حسد ابن أخيه له، وبعد أن غمره الرشيد بالمال والهدايا سأله عن أحوال عمّه، فقال علي: خلّفت عمّي في المدينة وهو في أحسن حالٍ، ولديه المال والرجال، حتى كأنّ هناك خليفتين: أحدهما في العراق والآخر في الحجاز

فهم الرّشيد مغزى أقوال علي بن إسماعيل فصمّم على التخلّص من الإمام، ثمّ أمر بالقبض عليه خفيةً وإيداعه سجن البصرة، غير أنّ والي البصرة ويدعى

عيسى بن جعفر، عامل الإمام معاملة حسنةً، لما رآه من صلاحه وتعبّده وتقواه، ولما علم الرشيد بذلك أمر بنقله إلى بغداد، حيث أودعه في سجن الفضل بن الربيع البرمكي.

قضى الإمام في سجنه الجديد مدّةً طويلةً، غير أنّ الفضل بن الربيع لمس هو الآخر ما يتمتّع به الإمام من عظمةٍ، فصار يعامله باحترامٍ شديدٍ، وأمر بنقله إلى منزلٍ جيّدٍ، كما أمر بتخصيصه بأجود أنواع الطعام، واستطاع الإمام أن يتّصل بلفيف من أنصاره ويجتمع بهم في هذا المكان، كما استطاع أن يغادر المنزل أحياناً، ويقوم بجولاتٍ في المدينة يعود بعدها إلى مكان إقامته.

خاف الرشيد من اتّساع شهرة الإمام ومن التفاف الناس حوله، فأمر بنقله إلى سجن السنديّ بن شاهك، بعد أن أوصاه بالقسوة عليه.

طرح الإمام عليه السلام في هذا السجن، بعد أن قيّدوا يديه ورجليه بالسّلاسل. وبعد مدّةٍ طويلةٍ قضاها في سجنه أرسل الرشيد وزيره يحيى البرمكي، ينقل إليه أنّ الرشيد قد أقسم على إطلاق سراحه شريطة أن

يقدّم له اعتذاره، وكان الرشيد يرمي إلى إذلال الإمام، وإظهار ضعفه أمام الناس، كما يثبت من جانبٍ آخر أنّه هو خليفة المسلمين.

عرف الإمام كلّ هذا، وكان ردّه على يحيى البرمكي: سيقع الفراق بيني وبين هارون عاجلاً، وسيحقق هارون ما يريد.

ولم يطل الأمر بعد أن كان الإمام قد أمضى في سجون الرشيد ما يقارب عشرين عاماً - حتّى أصدر الرّشيد أوامره الى السنديّ بن شاهك، بأن يدسّ في طعام الإمام حبّات من التّمر مسمومةً. وهكذا كان، وقضى الإمام عليه السلام شهيداً بالسّم، وأصدر فقهاء القصر وأطبّاؤه شهادتهم بأنّ الإمام توفي بعد إصابته بمرضٍ طبيعيٍّ، وليس لموته أي سبب آخر.

لكنّ الناس كان لهم رأي آخر، فهم يعرفون حقّ المعرفة سبب سجنه واستشهاده، ويعرفون حقّ المعرفة من هو المسؤول. ولا يزال مقامه عليه السلام في الكاظمية حتى اليوم شاهداً على جريمة هارون وأمثالها. لكنّ الجريمة مهما عظمت لن تحجب أنوار

الإسلام ولن تطفئ شعلته (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولوكره الكافرون).

صدق الله العظيم.

## الإمام علي الرضا عليه السلام

**الاسم: الإمام علي الرضا عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام موسى الكاظم عليه السلام**

**اسم الأم: أم البنين**

**تاريخ الولادة: ١١ ذي القعدة سنة ١٤٨ للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تايخ الاستشهاد: ٢٩ صفر سنة ٢٠٣ للهجرة**

**محل الاستشهاد: طوس**

**محل الدفن: مشهد**

## الكاظم والرّضا عليهما السلام وهارون الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ من السّهل علينا اليوم أن نسمع باسم (هارون الرشيد) العباسيّ، وأن نستمع إلى قصّته، أمّا في عهده فلم يكن الأمر كذلك. فقد كان مجرّد ذكر اسمه كافياً لتنخلع القلوب خوفاً وتجمد الأنفاس رعباً، لما عرف عنه من قسوةٍ وبطش بالغين. وكان الرشيد يحكم دولة إسلاميةً كبيرةً تمتدّ من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسيّ غرباً. وكان يعتبر نفسه خليفةً للمسلمين، لكنّه كان يدرك في قرارة نفسه أنّ هذا المقام ليس من حقّه، بل من حقّ رجل آخر يرجح أهل عصره علماً ومعرفةً، وتقىً وصلاحاً، هو الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، لذا فقد كان يطوي قلبه على أشدّ البغض والعداء له ولأسرته من العلويّن. واستطاع أخيراً أن يرمي به في سجونه، يتنقّل به - خلال عشرين سنةً - من سجنٍ إلى آخر، حتى جرؤ

أخيراً على دسّ السمّ في طعامه والتخلّص منه. وأقسم منذ ذاك أن يضرب عنق أيّ امرئ من آل أبي طالب يدّعي الإمامة بعد موسى بن جعفر عليهما السلام ، حتى يستأصل شأفة الإمامة (أي أصلها( بالكامل، ومن الجذور، لكن هيهات، فالله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

كان الإمام الكاظم عليه السلام قد أوصى بالإمامة لابنه الإمام علي الرضا عليه السلام ، وما إن استشهد الإمام حتى أعلن الرضا عليه السلام أمره على رؤوس الأشهاد، وأنّه الوصيّ بعد أبيه، غير عابئ بهارون وغيره من الطغاة، مظهراً دعوته إلى الله علناً ودون تردّدٍ، واثقاً من عون الله؛ فخاف عليه أصحابه، وقال له أحدهم وهو مُحَمَّد بن سنان:

يا أبا الحسن، إنّك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر الدّم

فقال عليه السلام :

جرّأني على ذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه، (لما أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين ويجهر بدعوته(، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أخذ

أبوجهل من رأسي شعرةً واحدةً، فاشهدوا بأني لست بنبيٍّ. وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرةً فأنا لست بإمام.

كان البرامكة من أشدّ الناس تحريضاً على الإمام الرضا، بعد أن نسجوا خيوط مؤامرتهم على أبيه، مستغلّين حقد ابن أخيه عليّ بن إسماعيل وحسده لعمّه الإمام الكاظم عليه السلام، وشرعوا الآن يعيدون تآمرهم على ابنه الرضا عليه السلام.

قال يحيى بن خالد البرمكيّ للرشيد يوماً يحرّضه على الإمام:

هذا عليّ بن موسى قد قعد مكان أبيه، وادّعى الأمر لنفسه، وقد أقسمت أن تقتل كلّ من يدّعي لنفسه الإمامة بعده. فقال الرشيد غاضباً: أو ما يكفينا ما صنعنا بأبيه بالأمس، أتريد أن تقتلهم جميعاً؟

هذه الكلمات من الرشيد تدلّ على أنّه كان يحسّ بإثم ما ارتكبه مع الإمام الكاظم عليه السلام، ولكنّ هذا لم يمنعه من محاولة التخلّص من الرضا عليه السلام، وتكرّرت محاولاته؛ لكن إرادة

الله كانت تحول بينه وبين ما يريد. قال الإمام يوماً وهو يعني الرشيد: والله لا يمكنه أن يعمل بي شيئاً أكرهه، لكلماتٍ وقعت إليّ من جدّي رسول الله ﷺ .

إنّ الله القدير مصرّف الأمور هيّأ للإمام الرضا الحماية من جور هارون الرشيد، كما هيّأ الحماية لبيت الإمامة في موقعة كربلاء، ووهب النجاة للإمام زين العابدين من سيوف الظالمين.

وهلك هارون الرشيد بعد أن أوصى بالحكم لابنه الأمين، ومن بعده لأخيه المأمون.

انصرف الأمين إلى حياة اللهو والعبث، وأهمل أمور الدولة المترامية الأطراف. كما غدر بأخيه المأمون ونزع منه ولاية العهد وجعلها لولده الصغير موسى من بعده، وزاد هذا من الانقسام القائم بين الأخوين، واندلعت الحروب بين أنصارهما وقتل الأمين بنتيجتها، وانتقلت السلطة إلى المأمون.

ولعلّ هذا الانقسام بين أفراد الأسرة العبّاسيّة الحاكمة جعل الأمين وأعوانه ينصرفون عن مراقبة

الإمام الرضا عليه السلام، ممّا هيّأ له فرصةً هادئةً، انصرف فيها إلى أداء رسالته ونشر مبادئ الإسلام.

وكانت هذه الحروب الدّمويّة بين الأخوين مثار تأمّل وتفكير عند الناس، الذين وجدوا فيها الدليل على أنّ الأخوين كليهما لا يليقان بحكم العالم الإسلامي، وبدأ الالتفاف مجدّداً نحو العلويّين. إضافةً إلى نقمة العباسيّين أنفسهم على المأمون لقتله أخاه.

## الرضا عليه السلام والمأمون

جعل المأمون مركز حكمه في مدينة (مرو)، اعترافاً بفضل الخراسانيّين الذين ساعدوه في الوصول إلى الحكم، ولم تمض على حكمه سنة حتى بدأت الاضطرابات تعمّ أطراف البلاد، وقامت الانتفاضات في كلّ مكان يقودها العلويّون الثّائرون، واشتعلت الثّورات في مكة والمدينة واليمن والبصرة والكوفة. وأحسّ المأمون بالخطر يحاصره في كلّ مكان، وشعر بحرج موقفه، فلم يجد وسيلةً أجدى وأنفع من تظاهره بالرّغبة في التّنازل عن الخلافة إلى الإمام الرضا عليه السلام، فيرضي بذلك العلويّين الذين يقودون الثورات ضدّ حكمه، ويميل بهم إلى الهدوء، وكان

يعلم أنّ الإمام سيرفض ذلك رفضاً قاطعاً، لكنّ وزيره الفضل بن سهلٍ شجّعه على ذلك.

كتب المأمون إلى الإمام الرضا يستدعيه إلى خراسان، ويستقدمه لزيارته في (مرو)، فكان الإمام يتمنّع ويتعلّل بعلل مختلفةٍ، لكنّه أمام إلحاح المأمون المتكرّر، لم ير بدّاً من الاستجابة لدعوته والذّهاب إليه، وكان الرضا عليه السلام يعرف تماماً أنّ ابن الطاغية هارون الرشيد لا يمكن أن يكنّ المحبّة لابن موسى الكاظم، لكنّه لم يجد بدّاً من الاستجابة، بعد أن تأكّد أنّ المأمون لن يكفّ عنه.

## سفر لا عودة منه

رافق الإمام الرضا رسل المأمون إليه محاطاً منهم بالتعظيم والإجلال وسار معه بعض أعيان المدينة وأشرافها، وتحرك الموكب في طريقه إلى خراسان. متجنّباً المرور بالمناطق التي يكثر فيها محبّو الإمام وأنصاره، كقمّ وغيرها من المدن، وذلك بأمر من المأمون نفسه، ورغم ذلك فقد كان الناس يخرجون لاستقبال ابن رسول الله بكلّ شوق، ويهللون مكبّرين لرؤيته، ويتزاحمون للتزوّد منه بنظرةٍ.

لاحظ الإمام عليه السلام أنّ هناك محاولةً للتفريق بينه وبين الناس، فكان يتحيّن الفرص للتحدّث إليهم. ولما وصلت قافلته إلى (نيسابور) خرج أهلها لاستقباله، وهم الذين كانت رؤية حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله حلماً بالنسبة إليهم، وها هي عيونهم تكتحل بمرآه، فالأمر واقع وحقيقة وليس حلماً، وزحفت المدينة برجالها ونسائها لاستقباله، دون أن ينتظروا وصوله إليهم، فالشّوق عظيم والحدث كبير.

كان علماء المدينة وأعيانها يتطلّعون إلى فرصةٍ تمكّنهم من سماع حديث الإمام، لكنّ غليان الناس وحرارة استقبالهم لم تمكّنهم من ذلك، فصرخوا بالناس يدعونهم إلى الهدوء. وبعد أن صمت الجميع، رفع الإمام ستائر هودجه، وأطلّ عليهم بوجهه الصّبوح، فارتفعت أصواتهم من جديدٍ، لكنّهم بإشارة منه عادوا إلى الهدوء، وتوجّه الجميع إليه بأسماعهم يلتقطون كلّ حرفٍ يقوله، وكان على الإمام أن يقول لهم كلّ شيءٍ. وعليه أن يتوخى الحكمة والحذر، وأن يوجز في حديثه لأنّ الفرصة قصيرة. قال عليه السلام:

حدّثني أبي موسي الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه مُحَمَّد الباقر، عن أبيه عليّ زين العابدين، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء، عن أبيه علي بن أبي طالب أنه قال:

حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله ﷺ عن جبرئيل أنّه قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه يقول: (كلمة لا إله إلاّ الله حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي).

كتب الألوف من رواة الحديث قول الإمام عليه السلام، وهو من الأحاديث المتّفق عليها بين المحدّثين، وهو من رواية الطّاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض السّلف يقول: لو قرئ هذا الإسناد على مجنونٍ لأفاق.

وتحرّك الإمام من نيسابور) ليتابع رحلته إلى (مرو)، حيث المأمون يستعدّ لاستقباله والحفاوة به، ولما وصلها أنزله منزلاً كريماً، محاطاً بكلّ مظاهر التّقدير والاحترام.

استبشر الناس خيراً بمقدم الإمام عليه السلام، فقد تخيّلوا أنّ الماضي البغيض قد ولّى إلى غير رجعةٍ،

وأنّ أيام الخلاف والاقتتال قد انتهت، فها هو المأمون يستعدّ لإرجاع الحقّ إلى أصحابه، وها هو صاحب الحقّ قد أقبل، وستغدو الأيام رخيّةً سهلةً، لكنّهم كانوا واهمين، فالإمام عليه السلام يعرف حقّ المعرفة أنّ المأمون غير جادٍّ في عرضه، وأنّه يتظاهر بالرّغبة في التّنازل عن الحكم لأمر في نفسه، وإذا تجاوزنا المأمون إلى بطانته وأجهزته حوله، لرأينا أنّهم أحرص على الملك والجاه والدنيا، لذا فقد رفض الإمام عرض المأمون، فما كان من المأمون إلاّ أن عرض عليه ولاية العهد بعده، والعرض الجديد لم يكن حبّاً بالإمام، وميلاً إلى الحقّ، بل هو تغطية لمآرب أخرى، فالمأمون يرمي من ورائه للحصول على شرعيّةٍ لحكمه، كما يرمي إلى إسكات الثّائرين عليه، ومرّةً ثانيةً يرفض الإمام عرضه، فيلحّ المأمون ويهدّد، ويمعن في تهديداته حتى التلويح بالقتل، بل التصريح به، ويروى أنّ المأمون قال للإمام حين رأى امتناعه عن القبول بما يعرضه عليه: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبا لله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك.

كان الإمام عليه السلام يتوقّع كلّ هذا، كان يعرفه حين دخل مسجد جدّه الرسول في المدينة يودّعه، ويقول وهو يبكي: إنّي أخرج من جوار جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأموت في غربةٍ. كان يدرك ذلك وهو في طريقه من المدينة إلى خراسان مغلوباً على أمره.

وأخيراً فلم يجد أمام إلحاح المأمون وتشدّده بدّاً من القبول، إنّما بشروط لا مناص منها، فقال للمأمون: أنا أقبل ذلك على أن لا أولّي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنّةً، وأكون في الأمر من بعيدٍ مشيراً.

رضي المأمون، وتمّت البيعة للإمام بولاية العهد، بحضور الوزراء والقادة والأعيان، وحشدٍ كبير من الناس. ووزّع المأمون الأموال والهدايا عليهم، وتزاحم الشعراء على تقديم مدائحهم.

وبهذه المناسبة ضرب المأمون الدراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام . وصار الخطباء يفتتحون خطبهم بالدعاء للمأمون والرضا عليه السلام .

وفي خراسان عقد الإمام مجالس المناظرة مع العلماء والأطبّاء وغيرهم، فكان علمه وسعة اطّلاعه مبعثاً لعجبهم، وكان المأمون يحضر بعض هذه المجالس، ولا يستطيع أن يخفي غيظه وحسده لمكانة الإمام، رغم ادّعائه تشجيع العلوم والأبحاث، وكان الإمام حين يرى منه ذلك، يختصر أحاديثه ويوجزها ما أمكنه، خاصّةً وأنّه أدرك أنّ الموكلين بأموره وقضاء حوائجه كانوا في الحقيقة عيوناً للمأمون عليه، فكان عليه السلام يتلوّى من الألم، ويتمنّى لنفسه الموت ليتخلّص من حياةٍ تحيط بها المكاره، وكان يقول: اللهم إن كان فرجي ممّا أنا فيه بالموت فعجّله لي الساعة.

## صلاة لم تتمّ

لما حضر عيد الفطر في السنة التي عقد فيها المأمون ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، أرسل إليه بالركوب إلى العيد والصلاة بالناس والخطبة بهم، فبعث إليه الإمام الرضا: لقد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الأمر (يعني قبوله لولاية العهد(، فأعفني من الصلاة بالناس. فألحّ عليه المأمون وقال له: أريد بذلك أن تطمئنّ إليك قلوب الناس، ويعرفوا فضلك. فأجابه الإمام إلى طلبه على شرط أن يخرج إلى الصلاة كما كان يخرج إليها

رسول الله وأميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب من بعده، فقال له المأمون: اخرج كيف شئت. ثمّ أمر القوّاد والحجّاب والناس أن يبكّروا إلى باب الرضا عليه السلام، ليرافقوه إلى الصلاة.

وصباح العيد وقف الناس في الطّرقات وعلى السطوح ينتظرون خروجه، ووقف الجند والقادة على بابه وقد تزيّنوا وركبوا خيولهم. قام الإمام فاغتسل ولبس ثيابه، وتعمّم بعمامةٍ بيضاء من قطن، فألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه، ومسّ شيئاً من الطيب، وقال لمن معه: افعلوا مثل ما فعلت، فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمّر سراويله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: الله اكبر، فكبّر معه الناس، ولما رآه القادة والجند على تلك الصّورة، ترجّلوا عن خيولهم، ونزعوا أحذيتهم من أرجلهم، ومشوا خلفه حفاةً، ثم كبّر الرضا عليه السلام، وكبّر معه الناس، وارتفعت أصواتهم بالتكبير حتى سمعت من كلّ الجهات، وضجت المدينة بالمكبّرين، وخرج الناس من منازلهم، وازدحمت بهم الشوارع والطرقات بشكلٍ لم تشهده (مرو) من قبل، وصدق فيه قول الشاعر:

ذكروا بطلعتك النبيّ فهلّلوا *** لما طلعت من الصّفوف وكبّروا

حـــتى انتهيـــت إلى المصـــلّى لابســـاً نـــور الهـــدى يبـــدو عليـــك ويظهـــر
ومشـــيت مشـــية خاشـــعٍ متواضـــعٍ لله لا يزهـــــــــو ولا يتكـــــــــبّر
ولـــو أنّ مشـــتاقاً تكلّـــف فـــوق مـــا في وســـعه لســـعى إليـــك المنـــبر

كـان المـأمون يريـده أن يخـرج للصـلاة كمـا يخـرج الملـوك، تحـفّ بهـم الزّينـات ومعـالم العظمـة، ويسـتغلّون المناسـبة لعـرض قـوّتهم وهيبـتهم في النفـوس، بينمـا يـرى الإمـام أنّ للمناسـبة قداسـتها الروحيّة، ترفع فيها آيات الخضوع والعبوديّة لله تعالى، وترتفع الأصوات بحمده والتكبير له، وشتّان بين ما أراد المأمون وما فعله الإمام ، فما كان من المأمون إلاّ أن بعث إليه يقول:

لقد كلّفناك شططاً (أي زيادةً عن الحدّ( وأتعبناك يابن رسول الله، ولسنا نحبّ لك إلاّ الراحة، فارجع، وليصلّ بالناس من كان يصلي بهم.

فرجع الإمام عليه السلام، لأنّ هذا هو ما يتمنّاه.

## أموت في غربةٍ

منذ ذلك اليوم، وقد رأى المأمون تجاوب الناس مع الإمام، وكيف كان توجّههم إليه عميقاً، أحسّ بالمرارة تغلي في أحشائه، وتذكّر أيام أبيه هارون الرّشيد مع الإمام

الكاظم عليه السلام، وكان يرى حفاوة الرشيد البالغة بالإمام، وإكرامه له، وهو (أي المأمون( لا يعرفه، فسأل أباه قائلاً: من هذا الرجل الذي عظّمته وقمت من مجلسك لأجله، وجلست بين يديه؟ قال الرشيد: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقال المأمون: أليست هذه الصفات كلّها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقّ، والله يا بنيّ إنّه لأحقّ بمقام رسول الله منّي ومن الخلق أجمعين، فقال له المأمون: إذا كنت تعرف ذلك فتنحّ عن الملك وسلّمه لأصحابه، فقال: يا بنيّ إنّ الملك عقيم، والله لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك.

تذكّر المأمون هذه الواقعة مع أبيه، ولا يزال صدى العبارة الأخيرة يرنّ في مسامعه: والله لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك.

وما له يسلّط على هذا الملك رجلاً يلتفّ الناس حوله إذا حضر، وتهفو إليه قلوبهم إن غاب، يجلّونه ويقدّرونه؟ أليس أبوه الذي قال: إنّ الملك عقيم؟ أليس بالأمس القريب قتل أخاه وعشرات الألوف من الناس في سبيل هذا الملك؟

تذكّر كلّ هذا وصمّم أمراً، صمّم أن يريح نفسه من هذا الهمّ الذي جلبه على نفسه بيديه، وقرّر أن يتخلّص من الإمام.

ولم يطل الأمر كثيراً، وكان قد مضى على الإمام في ولاية العهد ما يقرب من سنتين، حين استشهد مسموماً، واتّهم المأمون بقتله، لكنّه أنكر التّهمة، وأظهر عليه الأسى والحزن. وكان استشهاده سنة ٢٠٣ للهجرة بطوس، ودفن في مشهد. ويختلف الناس لزيارة قبره من جميع أنحاء العالم. ويروى عنه أنّه قال: من زارني في غربتي كان معي في درجتي يوم القيامة.

عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

## الإمام مُحَمَّد الجواد عليه السلام

**الاسم: الإمام مُحَمَّد الجواد عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام علي الرضا عليه السلام**

**اسم الأم: خيزران**

**تاريخ الولادة: ١٠ رجب سنة ١٩٥ للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تاريخ الاستشهاد: ٦ ذي الحجة سنة ٢٢٠ للهجرة**

**محل الاستشهاد: الكاظمية**

**محل الدفن: الكاظمية**

### المواجهة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

في يوم دافئ، وأشعّة الشمس تتسلّل برفق عبر أزقّة مدينة بغداد، وتبدأ انتشارها فوق السّهول المترامية الأطراف حولها، خرج المأمون العباسي مع نفر من حاشيته للصيد، وقد امتطوا جيادهم يسابقون بها الريح، مصطحبين صقورهم وكلابهم، قاصدين السّهول الممتدّة حول المدينة.

بغداد في تلك الأيام كانت مدينةً كبيرةً جداً، تحيط بها مزارع البرتقال وكروم العنب وأشجار النّخيل، يزيّنها العشب الأخضر والورود.

كان الموكب يجتاز شوارع العاصمة، مثيراً الرعب والذّعر في قلوب الناس. وفي أحد الشوارع صادف مجموعةً من الصبية يلعبون ويتراكضون، وما إن شعر الصبيّة باقتراب خيل الحاكم حتى هربوا في كلّ

اتّجاهٍ؛ وتلك كانت صورة الحكّام المرعبة، فقد ترك أسلاف المأمون كالرّشيد والمنصور وهشامٍ والحجاج بصمات البطش والإرهاب في النفوس.

خلت الساحة من الأطفال، عدا طفل منهم، انتصب شامخاً أمام الموكب غير آبهٍ به، ممّا أثار دهشة المأمون، فأمر بإحضار الصبيّ إليه، وخاطبه قائلاً: لماذا لم تهرب مع الصبية الآخرين؟ قال الصبيّ: مالي ذنب فأفرّ منه، ولا الطريق ضيّق فأوسّعه عليك، فسر حيث شئت.

قال المأمون متعجّباً من جرأة الغلام: من تكون أنت؟ قال: أنا مُحَمَّد بن علي بن موسى بن جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

قال المأمون: ما تعرف من العلوم؟

قال: سلني عن أخبار السّماوات.

(لقد سأل المأمون الغلام الصغير عمّا يعرفه من العلوم، والعلوم لا يعرفها إلاّ من درسها، وقضى السنين في تعلّمها، فكيف يسأل عنها غلاماً صغيراً؟

والجواب أنّ المأمون يعلم ذلك، لكنّه بعد أن

عرف أنّ الغلام هو ابن الإمام الرضا عليه السلام، وأنّه فرع من الشجرة المباركة، شجرة أهل البيت عليهم السلام، الذين يتوارثون العلوم والمعارف، كلاّ عمّن سبقه، سأله هذا السؤال الطبيعيّ).

ترك المأمون الإمام مبتعداً نحو السّهول، وهو غارق في التفكير بأمر هذا الغلام، ومضى النهار إلا أقلّه، والمأمون لا يجد صيداً، فأطلق أحد صقوره يبحث عن طريدة؛ حلّق الصّقر عالياً وغاب عن الأنظار ساعةً، عاد بعدها وهو يحمل حيّةً بين مخالبه، وألقاها أمام المأمون، أمر المأمون بوضع الحيّة في صندوق وقال لأصحابه: قد دنا حتف ذلك الغلام في هذا اليوم، وعلى يديّ. ثمّ عاد أدراجه نحو بغداد.

وفي طريق عودته، التقى بالصبيّة أنفسهم وابن الرضا بينهم، فاقترب منه قائلاً (وكأنّما يتابع معه حديث الصباح):

وما عندك من أخبار السماوات؟

أجاب الإمام قائلاً: حدثني أبي عن آبائه، عن النبيّ، عن جبرائيل، عن ربّ العالمين أنّه قال: بين السماء والهواء عجاج (والعجاج هو الغبار أو الدخان)

يتلاطم به الأمواج. فيه حيات خضر البطون، رقط الظهور (لونها مبقّع بالبياض والسواد(، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب، ليمتحنوا به العلماء.

فقال المأمون: صدقت، وصدق أبوك، وصدق جدّك، وصدق ربّك.

كان هذا هو اللّقاء الأول بين الإمام والمأمون، وتوالت اللّقاءات، وتعرّف المأمون أكثر وأكثر على مناقب الإمام العالية، وضلوعه بالعلم والمعرفة، وصمّم أن يزوّجه ابنته.

## اعتراض العباسيين

كان المأمون يرمي من تزويج ابنته من الإمام الجواد عليه السلام، إلى اكتساب رضى السادة العلويين، وإزالة ذكرى الموت المفاجئ للإمام الرضا عليه السلام من الخواطر، مدّعياً الصفاء معهم، كما يرمي من جهة ثانية إلى أن يكون الإمام الجواد على مقربةٍ منه، ليتمكّن من مراقبته بواسطة عيونه وجواسيسه، ومعرفة تحرّكاته واتّصالاته، وقد سبق للمأمون أن اتّبع الأسلوب نفسه مع الإمام الرضا عليه السلام.

ولما علم العباسيون بالأمر، ثقل عليهم

واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر مع الجواد إلى ما انتهى إليه مع أبيه الرضا، فيفوز بولاية عهد المأمون.

اجتمع نفر منهم إلى المأمون قائلين: ننشدك الله يا أميرالمؤمنين أن تصرف النظر عن هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا؛ فإنّا نخاف أن تخرج عنّا أمراً قد ملكناه، وتنزع عنّا عزّاً قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم آل عليّ قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك معهم، وقد كنّا في وهلةٍ (فزع( من عملك مع الرضا ما عملت، حتّى كفانا الله ألمهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غم انحسر عنّا (زال عنا(، فاصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لها دون غيرهم.

فأجابهم المأمون: أمّا ما كان بينكم وبين آل أبي طالب، فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم. وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعاً للرّحم، وأعوذ بالله من ذلك وأمّا أبوجعفرٍ مُحَمَّد (الجواد( بن عليّ فقد اخترته لتبريزه (تفوّقه( على كافّة أهل الفضل في العلم، مع صغر سنّه.. وأنا

أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، ليعلموا أنّ الرأي ما رأيت فيه.

فقالوا: أتزوّج ابنتك وقرّة عينك صبياً لم يتفقّه في دين الله، ولم يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضه من سننه؟ فأمهله ليتأدّب ويقرأ القرآن ويتفقّه في الدين، ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم، إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّه لأفقه منكم وإن شئتم فامتحنوه، فإن كان كما وصفتم قبلت منكم .

فقالوا: لقد رضينا لك ولأنفسنا بامتحانه؛ فخلّ بيننا وبينه، لنعيّن من يسأله بحضرتك عن شيءٍ من فقه الشريعة، فإن أصاب الجواب لم يكن لنا اعتراض، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا أمره.

قبل المأمون، وعيّن لهم يوماً لذلك.

ثم اجتمع رأيهم على يحيى بن أكثم ، قاضي القضاة يومذاك، على أن يسأل الإمام مسألة لا يعرف الجواب عنها، ووعدوه بأموالٍ وفيرةٍ إن هو استطاع ذلك.

## مجلس الامتحان

وفي اليوم الذي عيّنه المأمون، حضر الإمام وقاضي القضاة والمأمون، كما حضر كبار العباسيّين، وأعيان الدولة، وجلس الناس على مراتبهم، بينما أجلس المأمون الإمام الجواد إلى جانبه.

من الجدير بالذكر أنّ تلك المجالس الفخمة التي كان العباسيون يقيمونها من وقت إلى آخر، لم تكن بالنسبة إليهم إلاّ مجالس ترفٍ ولهوٍ، ولم تكن تعقد بناءً على التعاليم الإسلامية التي تراعي أصول التساوي بين الناس، ولم يسيروا فيها على خطى الرسول صلى الله عليه وآله ، وخطى الإمام عليّ عليه السلام ، في جعلها مجالس للمذاكرة في تعاليم الإسلام وأحكامه، ممّا يعود بالفائدة على الجميع، بل كانت مجالس للمناظرة والمبارزة الكلاميّة وإلقاء الأشعار والخطب. فحضور الإمام في هذا المجلس لم يكن حضور مشارك أو حتى ضيفٍ، بل كان - في الواقع - حضوراً قهريّاً إجبارياً لا يستطيع منه فكاكاً .. على أيّ حالٍ، فقد جلس الإمام في مكانٍ فخمٍ مزيّن إلى جانب المأمون، كما جلس النبيّ يوسف

- من قبل - إلى جانب فرعون مصر. وفي قصص الأنبياء دروس للناس، تبيّن لهم الحقائق الكامنة وراء الأحداث التاريخية المختلفة باختلاف الأزمان، فها هو يوسف النبي، يجلس إلى جوار فرعون مصر ويدير له شؤون دولته، وفي يوم آخر، يقوم نبيّ آخر هو موسى عليه السلام، ضدّ فرعون آخر، فيهزمه ويقضي عليه. ولكنّ الكثرين لا يفكّرون في أحداث التاريخ، ويعجزون عن فهمها وإدراك مغزاها. تقول الآية الشريفة:

( لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسّائلين ) .

ساد المجلس صمت مطبق، والكلّ يتطلّع إلى رؤية الإمام الجواد، هذا القادم الجديد إلى بغداد، والذي لم تقع عليه أعين الناس من قبل، ورؤية مقدرته، وهو ابن تسع سنين، في مواجهة قاضي قضاة بغداد، ويتساءلون: هل في مقدور حفيد رسول الله أن يصمد أمام أسئلة هذا العالم الكبير؟

قطع القاضي يحيى بن أكثم حبل الصمت، والتفت إلى المأمون قائلاً:

أيأذن لي أميرالمؤمنين بأن أوجّه سؤالاً إلى أبي

جعفر بن الرّضا؟

أجاب المأمون: عليك أن تأخذ الإذن منه.

التفت يحيى بن أكثم إلى الإمام الجواد قائلاً:

(أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟ فقال له أبو جعفر: سل إن شئت. قال يحيى: ماذا تقول في محرم قتل صيداً؟ أجاب الإمام:

قتله في حلّ أوحرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان أم عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كباره؟ مصرّاً على ما فعل أم نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد في أوكاره أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله، أو بالحجّ كان محرماً؟

فتحيّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس أمره).

لم يكن يحيى بن أكثم قد سمع - حتى يومه ذاك - بأكثر من وجه واحدٍ للمحرم الذي يقتل صيداً، ولم يعرف لذلك سوى حكم واحدٍ، ويفاجأ الآن بأنّ سؤالاً قصيراً واحداً يحتاج - في الإجابة عليه - إلى كلّ

ذلك التفصيل الكبير.

تحيّر يحيى بن أكثم، وتحيّر معه كلّ من حضر المجلس، وأدركوا بأنّ الإمام الجواد عليه السلام بحر من العلم والمعرفة؛ فقد أعطاهم - على صغر سنه - درساً في الأحكام، وهو أنّ الحكم في كلّ مسألةٍ يختلف باختلاف ظروفها وملابساتها.

ويروى أنّ المأمون طلب من الإمام أن يسأل يحيى بن أكثم كما سأله، فأجابه الإمام إلى طلبه، وسأل القاضي سؤالاً لم يعرف الإجابة عليه، وقال: والله لا أهتدي لجوابك، ولا أعرف الوجه في ذلك، فإن رأيت أن تفيدنا. فاستجاب الإمام إلى رغبته، وأعطاه جواب المسألة.

عند ذاك، أقبل المأمون على من حضره من أهل بيته قائلاً: ويحكم، إنّ أهل هذا البيت خصّوا من بين الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين. وقبل الإسلام منه، ولم يدع أحداً في سنه غيره؟ أفلا تعلمون الآن ما خصّ

الله به هؤلاء القوم، وأنّهم ذريّة بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم؟ فقالوا: صدقت يا أميرالمؤمنين، إنّ ما تراه هو الصّواب.

## زواج سياسيّ

سرّ المأمون لخروجه من المراهنة منتصراً، ورأى أن يستغلّ الفرصة المتاحة، فالتفت نحو الإمام قائلاً:

يا بقيّة الرسول ﷺ ، لقد علمت فضلك ومنزلتك، واخترتك زوجاً لابنتي (أمّ الفضل)، وإنّي - رغم معارضة الكثيرين لهذا الزّواج - أطلب منك القبول.

تردّد الإمام؛ فهو يعرف تماماً ما يرمي إليه المأمون من هذه المصاهرة، ويدرك الأهداف التي تكمن وراءها، فهي ليست في الواقع إلاّ زواجاً سياسيّاً، يحقّق للمأمون أغراضه في تهدئة وإرضاء العلويّين وفي جعل الإمام الجواد قريباً منه وتحت مراقبته.

شعر الإمام بالضيق، لكنّه كان يدرك حرج الموقف، فهو لا يستطيع أن يرفض طلب المأمون أمام هذا الجمع الكبير من أعيان بغداد، ورجالات الدولة وقوّادها، ففي الرّفض إهانة عظيمة للمأمون، والله

وحده يعلم النتائج.

هنا لم يجد الإمام بدّاً من القبول، لكنّه اشترط أن يحدّد لابنة المأمون صداقاً مساوياً لصداق جدّته الزهراء عليها السلام، وهو خمسمئة درهمٍ. ورضي المأمون.

أقام المأمون بهذه المناسبة احتفالاً عظيماً، هيّأ له جميع مظاهر الأبّهة والجلال، وأمر الخدم والحشم بارتداء الملابس الفاخرة، وراحوا يستقبلون الضيوف ويوزّعون عليهم الهدايا الثّمينة؛ ثمّ فرشت الموائد الحافلة بأفخر الطعام، وأكل الناس.

بقي الإمام يكتم سخطه من هذه المصاهرة، ومن الأعباء التي خلّفتها له، وأحسّ بتسلّط المأمون عليه، وكم كان يتمنّى لو بقي في المدينة فهو يدرك أنّ الذي فعل بالإمام الرضا عليه السلام، من صنوف المكرو التّآمر ما فعل، حتى لقد اغتاله أخيراً بأسلوب جبان غادرٍ، هو نفسه المأمون الذي يصاهره الآن، ولعلّه أصبح أكثر إصراراً على المضيّ في خططه الماكرة، الرامية إلى اجتثاث أمر الإمامة من الجذور، ما دام يرى فيها خطراً جدّياً يتهدّد وجوده ومستقبله في

الحكم فكّر الإمام بكلّ هذا، لكنّه لم يستطع حيال الأمر شيئاً غير الصبر، وأسلم أمره لله سبحانه.

ودارت الأيام وكبرت (أمّ الفضل) وكبر الإمام، وتمّ الزواج.

عاش الإمام الجواد عليه السلام في بغداد مدّة من الزّمن بعد زواجه، وقد حاول المأمون جرّه إلى المجالس التي يقيمها العباسيّون، لكنّه لم ينجح، فقد حرص الإمام على تجنّبها والابتعاد عنها ما وسعه ذلك، وإذا صادف حضوره بعضها، فقد كان يستغلّ وجوده لإزجاء النّصح والموعظة الحسنة، ومناظرة أصحاب الأفكار والعقائد المنحرفة، وكانت تلك الفترة - رغم ما تخلّلها من مضايقاتٍ - فترةً هادئةً إجمالاً، انصرف فيها عليه السلام إلى القيام بالإرشاد والتوجيه، إلى ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين.

وقبل وفاة المأمون بعامٍ واحدٍ تقريباً، خرج الإمام من بغداد ترافقه زوجته قاصدين مكّة للحجّ، وبعد أداء الحجّ توجّه إلى المدينة، وبقي فيها حتى وفاة المأمون، واستلام المعتصم للحكم بعده.

## الإمام عليه السلام والمعتصم

كان المعتصم أكثر ظلماً وجوراً من أخيه المأمون، وكان يكثر من اللّهو والشرب ورحلات الصيد، لكنّه كان يهاب الإمام عليه السلام، ويخشى تأثيره على الناس، وما يلمسه من احترامهم له والتفافهم حوله، فأصرّ على استقدامه ثانيةً إلى بغداد، وذلك لنفس الأسباب التي سبقت من قبل.

خلّف الإمام في المدينة ابنه أبا الحسن عليّاً الهادي عليه السلام، بعد أن أوصى له بالإمامة من بعده، وتوجّه إلى العراق. وكان المعتصم لما يزل يتحيّن الفرص للتخلّص منه، يساعده في ذلك ابن أخيه جعفر بن المأمون، ويعقوب بن داود كبير فقهاء القصر، وغيرهما من الأعوان.

كان ابن داود يحقد على الإمام لأنّه يرى في وجوده تحديداً لنفوذه بين العامّة، وتهديداً لمركزه لدى المعتصم، وقد جرت بينهما مناظرات عدّة، كان ابن داود يخرج منها منهزماً أمام قوّة الحقّ والمنطق والصواب، وحدث مرّة أن أتي بسارقٍ إلى مجلس المعتصم، فطلب من الفقهاء رأيهم في كيفيّة إقامة

الحدّ على السارق، فأشار عليه ابن داود أن يقطع يده من الرّسغ، وأقرّه على رأيه أكثر العلماء، بينما أشار بعضهم بقطع يد السارق من الساعد. هنا التفت المعتصم إلى الإمام يطلب رأيه، فأشار عليه بقطع أصابع اليد فقط، لأنّ قطع اليد من الرّسغ يزيل موضعاً من مواضع السجود السبعة، وهو راحة اليد.

أعجب المعتصم برأي الإمام وأخذ به، متجاهلاً آراء الفقهاء الآخرين، فعظم الأمر على ابن داود، فلأوّل مرّةٍ يهمل المعتصم فتواه ويأخذ بفتوى غيره، والإمام هو السّبب في ذلك، فصار يتحيّن الفرص للإيقاع به، واستطاع آخر الأمر أن يوغر عليه صدر المعتصم، ويوقظ عنده هاجس الخوف على الحكم، والخوف من اتّساع نفوذ العلويين، وذكّره بما كان يفعله أسلافه من العباسيّين بحقّ أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله فصمّم المعتصم على الغدر بالإمام، وأقدم على دسّ السمّ له في الطعام، بالطريقة الجبانة الغادرة نفسها، ويقال إنّ أداته في فعلته النكراء تلك، كانت زوجة الإمام أمّ الفضل، نظراً لما تكنّه من حقدٍ على الإمام، لتفضيله أمّ الإمام الهادي عليها. وتوفّي عليه السلام

متأثّراً بالسمّ في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ٢٢٠ للهجرة، وهو في ريعان شبابه، ودفن في الكاظميّة إلي جوار جدّه الإمام الكاظم عليهما السلام .

## الأثر الطيّب

كانت حياته عليه السلام صورةً عن حياة آبائه الأطهار، عاشها في أداء الرسالة وتأدية الأمانة، رغم المصاعب والشدائد التي كانت تحيط به، وقد اجتمع حوله الناس، وروى عنه الرواة عشرات الأحاديث في مختلف المواضيع. وأثرت عنه أقوال تعدّ من أبلغ الحكم والمواعظ.

قال له أحد أصحابه يوماً: يا مولاي، إنّي لأرّجو أن تكون القائم من آل بيت مُحَمَّد، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، فقال عليه السلام :

ما منّا إلا قائم بأمر الله، وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، يجتمع إليه من

أصحابه عدّة أهل بدر، ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض. وذلك قول الله: ( أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً، إن الله على كلّ شيءٍ قدير ). فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره، وإذا كمل له العقد وهو عشره آلاف رجل، خرج بإذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله، حتى يرضى الله.

ومن الأقوال المأثورة عنه قوله عليه السلام:

حسب المرء من كمال المروءة تركه ما لا يجمل به، ومن حيائه أن لا يلقى أحداً بما يكره ومن سخائه برّه بمن يجب حقّه عليه، وإخراجه حقّ الله من ماله، ومن إسلامه تركه ما لا يعنيه، وتجنّبه الجدال والمراء في دينه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن صبره قلّة شكواه، ومن إنصافه قبول الحقّ إذا بان له ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه ومن سلامته قلّة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بإصلاح عيوبه.

وقال عليه السلام: العامل بالظلم والمعين له والرّاضي به شركاء.

وقال عليه السلام أيضاً: من عمل بغير علمٍ كان ما يفسد أكثر مما يصلح، إيّاك ومصاحبة الشّرير، فإنّه كالسيف

المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره عز المؤمن غناه عن الناس.

وقد أحاطت كلماته عليه السلام بجميع الجوانب التي تشدّ الإنسان إلى الخلق الكريم، والأدب الرفيع، والسلوك القويم، وكلّ ما يرفع من شأن الإنسان، ويوفّر له السعادة، والكرامة، في دنياه وآخرته.

لهذا ونحوه، وهب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حياتهم ووجودهم، وتحمّلوا في سبيل ذلك كلّ أنواع الظلم والجور والتّشريد، ورحلوا عن دنيا الناس بأجسادهم، وظلّوا فيها أحياء بسيرتهم ومبادئهم وتعاليمهم، التي تلهم الأجيال كلّ معاني الخير والنبل والفضيلة، في كلّ زمانٍ ومكانٍ.

## الإمام علي الهادي عليه السلام

**الاسم: الإمام علي الهادي عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام محمّد الجواد عليه السلام**

**اسم الأم: سمانة**

**تاريخ الولادة: ١٥ ذي الحجة سنة ٢١٤ للهجرة**

**محل الولادة: صريا (من ضواحي المدينة)**

**تاريخ الاستشهاد: الثالث من رجب سنة ٢٥٤ للهجرة**

**محل الاستشهاد: سامرّاء**

**محل الدفن: سامرّاء.**

## (صريا) المزرعة المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

كانت هذه الآية الكريمة نبراساً لأئمة الهدى ومصابيح الأمّة في سعيهم وعملهم، فقد عملوا بها وعلّموا الناس، وأرشدوهم لما فيه هدايتهم، وما فيه رضى الله ورسوله، وبيّنوا لهم شرف العمل وقيمته من خلال الارتباط بالأرض، والقيام بزراعتها وإصلاحها، كما عملوا بأيديهم في غرس الأشجار، فكانوا نموذجاً للمزارعين العاملين في رعاية الأرض والاستفادة من خيراتها. وكانت المزارع التي أنشاها الإمام الكاظم عليه السلام خير مثال على ذلك. فقد أنشأ عدّة مزارع منها مزرعة (صريا) بالقرب من المدينة المنوّرة، وقد تعهّدها بعده الأئمة الأطهار من ولده عليهم السلام، وقد أحب الإمام الجواد هذه المزرعة

حبّاً جمّاً، وقضى فيها معظم أوقاته عاملاً ومزارعاً ومرشداً، وخصّص فيها لزوجته الثانية (سمانة) منزلاً أقامت فيه، وتحوّلت (صريا) بفضل جهوده إلى ضيعة يتردّد عليها محبّو الإمام وأنصاره، وفي هذه المزرعة ولد الهادي عليه السلام وأسموه عليّاً.

أمضى عليّ الهادي طفولته بهدوء إلى جوار أمّه وأبيه، وبين الفلاّحين العاملين في المزرعة، وفي أحضان الطّبيعة أطلق بواكير تأمّلاته في عظمة الخالق. لكنّ الأيام الهادئة لم تطل، فقد استقدم أبوه إلى بغداد بأمر من المعتصم العباسيّ. وغادر (صريا) مخلّفاً فيها ولده الهادي وأمّه سمانة، وكانت هذه الرحلة إلى بغداد آخر عهده بالمزرعة ومن فيها. فقد استشهد عليه السلام ودفن في الكاظميّة قرب بغداد، وكان قبل سفره قد أوصى بالإمامة لابنه الهادي عليهما السلام ، وكان للهادي من العمر ست سنواتٍ.

## الإمامة

كلّف المعتصم - الحاكم العباسيّ - رجلاً يثق به بالقيام على تعليم الإمام الهادي، بغية الابتعاد به عن خطّ أهل البيت، وتقريبه من خطّ العبّاسيين، وحثّه على

إطاعة الحكّام والاعتراف بشرعيّتهم، غير أنّه اصطدم بما يتمتّع به الامام من ذكاء، وما رضعه من معرفةٍ امتاز بها أهل هذا البيت الكريم وتوارثوها، خلفاً عن سلفٍ، ورغم توفّر هذا الرجل على تعليم الإمام فقد فوجئ يوماً - إذ طلب منه إسماعه بعض ما علّمه إيّاه - بجواب الإمام قائلاً: بل سلني عن آياتٍ من القرآن الكريم أتلها عليك. وقد نسي هذا الرجل أو تناسى قول رسول ربّ العالمين، في حديث قدسيٍّ ردّده في مناسباتٍ كثيرةٍ:

(إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي). ونسي أو تناسى أنّ أهل هذا البيت حملوا عن رسول الله علوم النبيين، وعقلوا عنه أحكام الدنيا والدين.

بقي الإمام الهادي في المدينة يمارس مهمّات الإمامة بهدوءٍ لم يخل من رقابة شديدة فرضت عليه من قبل السلطة، حتى جاوز العشرين من عمره، وقد اتّسعت شهرته، وصار القريب والبعيد يرجعون إليه في أمور دينهم، ويستعينون به على ما يعترضهم من مشاكل في أمور دنياهم.

## فرن كبير

مات المعتصم العباسي، وخلفه في الحكم هارون بن محمّد، الملقّب بالواثق، وكان الواثق رجل لهو ومجون وطرب، انصرف إليها وترك أمور الحكم يصرّفها وزيره (الزّيّات)، وكان الزّيّات رجلاً قاسياً، فتح السجون لخصوم الواثق، وأنشأ في أحدها فرناً كبيراً جهّزه بمختلف آلات ووسائل التعذيب، وكان من ضحايا هذا السجن أخو الواثق نفسه، ويلقّب بالمتوكّل، وقد لقي المتوكّل الكثير من صنوف التعذيب على يدي (الزّيّات) نظراً للخلاف المستحكم بين الأخوين، ولتنافسهما الشديد على الحكم.

لم يطل حكم الواثق، فقد مات بعد حوالي ست سنواتٍ، وخلفه أخوه المتوكّل، الذي افتتح عهده بالانتقام من وزير أخيه، إذ رماه في الفرن الذي أعدّه الوزير نفسه، وكانت نهاية هذا الوزير الجبّار مصداقاً للقول: (من حفر بئراً لأخيه وقع فيها ).

## الحقد على الشهداء كما على الأحياء

وبعد أن استقرّ الأمر للمتوكّل، وجّه سهام حقده نحو آل مُحَمَّد سلام الله عليهم، فقد كان يكنّ لهم

كرهاً شديداً، فاق فيه من سبقه من الحكّام، وقد بلغ به التعصب والحقد أن أسفر عن عدائه فأمر بهدم قبر الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، وسوّى الضريح الشريف بالتراب، وأمر بحرث الأرض وزرعها لتضيع معالمه، كما قتل عدداً كبيراً من زوّاره، لأنّ زيارة الشّهداء تؤجّج نار الثورة والغضب ضدّ الطغيان والطغاة في كلّ عصر، وتلهب المشاعر ضد الظلم والظالمين، ورغم كل تلك القسوة، بقيت قوافل الزّوار تتوافد إلى هذا المكان الشريف دون انقطاعٍ (ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون).

قال أحد الشّعراء مستنكراً جريمة المتوكّل:

تالله إن كانت أميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتته بنو أبيه بمثله ... فغدا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على ألاّ يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميماً

يشبّه الشاعر ما فعله الأمويّون بحقّ أهل البيت من قتلٍ وسبيٍ وتشريد، بما قام به العباسيون بعدهم، من

هدم قبور من استشهد من الأئمة، وإلحاق الأذى بمن كان منهم حيّاً، رغم قرابتهم، وادّعائهم محبّتهم.

التفت المتوكل بعدها إلى الأحياء، فقد كان ما يصل إليه عن التفاف الناس حول الإمام الهادي يشغل تفكيره ويثير غضبه، لكنّه لم يكن يملك عليه حجةٍ يتذرّع بها، أو ذنباً يأخذه به، فرأى أن يلجأ إلى الأسلوب القديم الذي اتّبعه أسلافه، وهو أن يستقدم الإمام إليه، مدّعياً محبّته، والرّغبة في القرب منه، فكتب إليه كتاباً ملأه بالدّجل والخداع وممّا جاء فيه: أميرالمؤمنين مشتاق إليك فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك على مهل وطمأنينة، ترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت، كيف شئت فاستخر الله حتى توافي أميرالمؤمنين، فما أحد من إخوانه وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منك منزلةً عنده والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وأوفد المتوكل إلى الإمام عليه السلام أحد رجاله ويدعى يحيى بن هرثمة، فحمّله كتابه إليه، وأمره بتفتيش دار الإمام تفتيشاً دقيقاً، لأنّه علم أنّ الإمام يجمع السلاح والمال والرجال للثورة عليه. ولما دخل

المدينة أحسّ الناس بالشرّ، وخافوا على الإمام عليه السلام ، لأنّهم يعرفون مشاعر المتوكّل نحو أهل البيت عليهم السلام ، لكنّ ابن هرثمة طمأن الناس بأنّه لم يؤمر فيه بسوءٍ ولا مكروهٍ، لكنّه مع هذا دخل البيت وفتّشه، فلم يعثر فيه إلا على مصاحف وأدعيةٍ وكتبٍ علميّة.

أما الإمام عليه السلام فقد كان يعلم أنّ الأسلوب الهادئ الليّن، الذي خاطبه به المتوكّل في كتابه إليه، ليس إلا نفاقاً يخفي تحته ما يعلمه الجميع من شدّة عداوة المتوكّل لعليّ وآل علي، وكلّ من يتّصل بهم بنسب أو سبب، كما يعلم أيضاً أن المتوكّل لا يمكن أن يدعه آمناً في مدينة جدّه صلى الله عليه وآله ، ولابدّ من الاستجابة لطلبه، وهكذا كان، وتوجّه الإمام إلى بغداد مع مبعوث المتوكّل.

## في الطريق إلى سامرّاء

يروي ابن هرثمة أنّهم بينما كانوا في الطريق، والسماء صاحية، والشمس طالعة، إذ وضع الإمام عليه ما يقيه المطر، فعجب ابن هرثمة لفعل الإمام، فلم تكن إلاّ هنيهة حتى جاءت سحابة، واكفهرّ الجوّ، وسقط مطر غزير. فالتفت الإمام إلى ابن هرثمة قائلاً:

أنا أعلم أنّك قد أنكرت ما رأيت، وتوهّمت أنّي قد علمت من الأمر ما لا تعلمه، وليس ذلك كما ظننت؛ ولكنّي نشأت بالبادية، فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر، فلما أصبحت، هبّت ريح شممت منها رائحة المطر، فتأهبت لذلك، وكان الأمر كما رأيت.

إنّ لأهل البيت عشرات الكرامات، وليس ذلك بغريب على من اصطفاهم الله من عباده، وجعلهم حججه على خلقه، والأدلاّء على طاعته، وهم من نذروا أنفسهم لله، واستجابوا لأمره ونهيه، وإنّ في سيرتهم، ومواقفهم من الظلم والظالمين، وتضحياتهم في سبيل الله وخير الناس، خير دليل على عظمتهم، عليهم رضوان الله وسلامه.

ويتابع يحيى ابن هرثمة روايته عن رحلة الإمام إلى سامرّاء، فيتحدّث عن وصولهم إلى بغداد (وكانت تدعى دار السلام(، فخرج الناس لاستقبالهم، يتقدّمهم إسحاق بن إبراهيم الطاهري، والي بغداد، الذي خاطب ابن هرثمة قائلاً: يا يحيى، إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله ﷺ ، والمتوكّل من تعلم، فإن حرّضته على قتله كان رسول الله خصمك، فأجابه يحيى: والله

ما وقفت منه إلا على كل أمرٍ جميلٍ.

يقول ابن هرثمة: صرنا إلى سامرّاء، وبدأت بوصيف التّركيّ، وكنت من أصحابه، فقال لي: (والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة، لا يكون المطالب بها غيري.

فعجبت من توافقهما في الرّاي؛ ولما دخلت على المتوكّل سألني عنه. فأخبرته بحسن سيرته، وسلامة طريقه، وورعه وزهده؛ وأنّي فتّشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه لما وردت المدينة، وضجّوا بأجمعهم، ولم يهدأوا إلا بعد أن حلفت لهم بأنّ الأمير لا يريد به سوءاً فأكرمه المتوكّل، وأنزله في دارٍ قد أعدّها له.

ويروى أنّ المتوكّل لم يأذن للإمام عليه السلام بالدخول عليه، في اليوم الذي وصل به إلى سامرّاء، بل أنزله في خانٍ يعرف بخان الصّعاليك، فأقام فيه يومه، وفي اليوم الثاني أذن له بالدخول عليه، ثم أفرد له داراً ليسكن فيها.

## الإمام في سامرّاء

خلال وجود الإمام في سامرّاء، كان المتوكّل يتظاهر بتعظيمه وإكرامه، لكنّه كان يراقب جميع تحرّكاته وتصرّفاته. وكان أنصار الإمام يتّصلون به في الغالب عن طريق الكتابة والمراسلة. وكان المتوكّل يستدعيه إلى مجلسه بين الحين والآخر. وكان كثيراً ما يأمر رجاله بالإغارة على دار الإمام وتفتيشها، بحثاً عن المال والسلاح، فيقابلهم الإمام عليه السلام بهدوءٍ وثقةٍ، ويساعدهم في التفتيش أحياناً.

ويروى في هذا المقام أن أحد رجال المتوكّل ويدعى (البطحانيّ)، وكان يضمر للإمام عداوةً شديدةً، سعى بالإمام إلى المتوكل قائلاً: إنّ عنده أموالاً وسلاحاً، فأمر المتوكل حاجبه واسمه سعيد بالهجوم على الدار ليلاً، فقصد الحاجب دار الإمام مع رجاله، وصعدوا على سطحها بواسطة سلّم أحضروه معهم، لكنّهم لم يروا طريقهم في الظلام، فنادى الإمام الحاجب قائلاً: يا سعيد، مكانك حتّى يأتوك بشمعةٍ، ثم أتوا له بشمعةٍ فنزل مع رجاله، ووجد الإمام مرتدياً جبّةً وقلنسوةً من صوفٍ، وهو متوجّه إلى القبلة للصلاة،

فقال لسعيدٍ: دونك البيوت، (أي الغرف أمامك ففتّشها(، وبعد التّفتيش لم يجدوا ما أتوا في طلبه من مال وسلاح، سوى بعض الكتب، فاعتذر سعيد من الإمام بحجة أنّه مأمور، فأجابه عليه السلام: (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون).

وفي مرّة أخرى، أحضر الإمام إلى مجلس المتوكل، وكان يجلس إلى مائدةٍ وفي يده كأس من الشراب، فأجلسه إلى جانبه وقدّم له الكأس التي في يده، لكنّه طلب إعفاءه فأعفاه، غير أنّه طلب أن ينشده شعراً يستحسنه، فاعتذر ثانيةً، لكنّه ألحّ عليه ولم يقبل له عذراً، فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعّمةً ... من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدّود ينتقل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحضنهم ففارقوا الدّور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

يصف اللإمام في هذه الأبيات مظاهر القوّة والعظمة لدى الحكّام، ويصف قصورهم وحياتهم المترفة، ثم يصور زوال كلّ هذه النعم ونهاية أصحابها إلى القبور، تعدو عليهم الدّيدان فتأكل وجوههم وأعضاءهم، بعد أن كانوا يأكلون الناس وأموالهم. وواضح أنّ الإمام عليه السلام يرمي إلى عظة المتوكّل ونصحه، وردعه عن مجونه وآثامه.

أمّا المتوكّل الذي لم يكن يتوقّع من الإمام أن ينشده شعراً من هذا النوع، فقد بكى بكاءً شديداً، وأمر

برفع الشراب من مجلسه، واعتذر من الإمام، وودّعه مكرّماً.

لقد حاول المتوكّل إذلال الإمام أمام حاشيته، فقدّم له الشراب وهو يعلم أنّ الإمام يرى أنّ شارب الخمر كعابد الوثن، ولما أبى، طلب أن ينشده شعراً في وصف الخمر والجواري، ولم يكن يتوقّع أن يصفعه الإمام عليه السلام هذه الصفعة، أو أن يجرؤ على صبّ هذه الصّواعق عليه، لكنّه أمام هذا الوصف الرّائع للجبابرة في حياتهم وبعد موتهم، ولتلك الوجوه الناعمة الطريّة يعبث فيها الدود، لم يستطع إلاّ التّأثر بهذه الحقائق الواضحة، والبكاء من شدّة الخوف والجزع ممّا ينتظره غير بعيدٍ.

## أعماله ومآثره عليه السلام

انصرف الإمام الهادي عليه السلام إلى خدمة الإسلام الحنيف، عن طريق الدفاع عن أصوله ونشر فروعه، فناظر المشكّكين وتصدّى للمحرفين المنحرفين، بالإجابة عن أسئلتهم بالأسلوب الهادئ الرّصين، المدعوم بالحجّة والمنطق، وكانت الرّسائل تصله من مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، ويتلقّى

الأموال الشرعيّة فيصرفها في وجوهها وعلى المصالح الإسلامية العامّة.

ومن مواقفه المشهودة، موقفه من الغلوّ والغلاة، والذي اتّسم بالصّلابة والصراحة، وقد شهّر بهم واعتبرهم من المنحرفين عن الخطّ الرّساليّ. الذي دافع عنه الأئمة عليهم السلام بكلّ قوّةٍ.

قال لشخص أفرط في الثّناء عليه ما معناه: إنّ كثرة التّملّق تثير الظنّ والريبة، فإذا أحببت أخاك فلا تتملّقه، بل أحسن إليه عملاً ونيّةً.

ومن أقواله عليه السلام: من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين من كان على بيّنة من ربّه هانت عليه مصائب الدنيا من جمع لك ودّه ورأيه فاجمع له طاعتك، ومن هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه، ومن رضي عن نفسه كثر السّاخطون عليه.

وقال عليه السلام: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان. (الجازع: نقيض الصابر(. وقال أيضاً: الجهل والبخل أذمّ الأخلاق، والطمع سجيّة سيئة. والهزء فكاهة السّفهاء وصناعة الجهّال.

## الشهادة

ذكرنا أنّ الإمام الهادي عليه السلام أقام في المدينة مع أبيه الإمام الجواد في بداية حياته، وحين بلغ السادسة من العمر توفّي أبوه، وبقى في المدينة حتى بلغ العشرين من عمره، وكان ذلك في أيّام المعتصم العباسيّ، وذكرنا أيضاً أنّ المتوكّل استقدمه إلى سامراء، وبقي فيها طيلة حكمه حتى قتل المتوكّل بيد ابنه، وخلفه من بعده المنتصر والمستعين بالله والمعتزّ، ويبدو من تاريخ حياته عليه السلام ، أنّ السنين السبع التي قضاها في أيّام الحكّام الثلاثة المذكورين، كانت فترةً هادئةً، لم يشهد فيها من الوشايات والمضايقات ما شهده أيّام المتوكل، وقد اكتفى الحكّام الثلاثة بفرض الإقامة الجبريّة عليه في سامرّاء، والدليل على ذلك هو بقاؤه في سامرّاء، في حين أنّه كان دائماً يحنّ إلى مدينة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ولا يرضى عنها بديلاً.

والهدوء الذي نعم به في هذه الفترة، لا يعود إلى طيبة أولئك الحكّام، إنّما سببه أنّ سلطة الحكّام العباسيّين كانت قد تقلّصت وضعفت، وصار الحاكم لا يملك غير الاسم فقط، بينما غدت السلطة في أيدي

القوّاد الأتراك وغيرهم، فهم الذين كانوا يأمرون وينهون، ويعيّنون ويعزلون، حتى أنّهم إذا غضبوا من الحاكم نفسه، عزلوه أو قتلوه، وعيّنوا غيره؛ كما حدث للمستعين بالله، حيث عزلوه وعيّنوا مكانه المعتزّ بعد أن كان معتقلاً.

وفي عهد المعتزّ توفّي الإمام الهادي عليه السلام، متأثّراً بالسمّ الذي يقال إنّ المعتزّ دسّه له في طعامه، وكالعادة أصدر القضاة وكبار رجالات القصر شهاداتهم بأنّ الإمام عليه السلام مات ميتةً طبيعيّةً. وعند انتشار خبر وفاته اجتمع في داره نفر كبير من الهاشميّين والعباسيّين، كما حرص رجال المعتزّ أنفسهم على حضور مأتمه والسّير في جنازته. وقد صلّى على جثمانه الطاهر ابنه أبو مُحَمَّد الحسن العسكري عليهما السلام، ودفن في بيته في سامراء سنة ٢٥٤ للهجرة.

## جعفر الكذّاب

ترك الإمام الهادي عليه السلام أربعة أبناءٍ وبنتاً واحدة. أكبرهم الإمام العسكري عليه السلام، وقد عرف عن أبنائه الآخرين الصّلاح والتّقوى والذّكر الطيب، غير واحدٍ منهم وهو جعفر.

كان جعفر سيّئ السّمعة والسيرة، يثير الفتن، وينسج الأكاذيب. حتى سمّي بجعفر الكذّاب. ويذكّرنا جعفر بابن نبي الله نوح عليه السلام، فقد كان أيضاً ولداً غير صالح، وكانت نهاية جعفر إلى الإهمال، وانصراف الناس عنه، رغم أنّه ابن إمام وأخو إمام.

ومن هنا يتبيّن أنّ العمل الصّالح والتقوى هما مقياس القرب إلى الله تعالى والبعد عنه سبحانه، وأنّ النّسب وإن كان فرعاً من أصلٍ طيّبٍ طاهرٍ، فلن يفيد المرء إذا كانت سيرته غير ذلك.

وإنّ محبّتنا واحترامنا لأهل البيت عليهم السلام، واتّخاذنا إيّاهم قدوةً ومثالاً، إنّما ترجع إلى سيرتهم ومواقفهم العظيمة، وما عرف عنهم من صلاح وتقوى وإيمان لم يكن لغيرهم من العالمين، وكانوا بالحقّ فروعاً طيّبةً من شجرة طيّبة مباركةٍ، طهّرها ربّ العالمين بقوله في محكم كتابه: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً). وصدق الله العظيم.

## الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

**الاسم: الإمام الحسن العسكري عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام عليّ الهادي عليه السلام**

**اسم الأم: حديثه**

**تاريخ الولادة: ٨ ربيع الثاني سنة ٢٣٢ للهجرة**

**محل الولادة: المدينة**

**تاريخ الاستشهاد: ٨ ربيع الأول سنة ٢٦٠ للهجرة**

**محل الاستشهاد: سامرّاء**

**محل الدفن: سامرّاء**

### الثّقلان: كتاب الله وأهل البيت

باسمه تعالى

تحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله في أواخر سنيّ حياته، وكان قد حجّ حجة الوداع فقال:

(إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجل وعترتي؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللّطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّه قد قرب أجله، وإنّه سيدعى إلى لقاء ربّه. وإنّه قبل رحيله قد ترك لأمّته شيئين ثمينين أحدهما كتاب الله، وهو القرآن الكريم، الذي يصلنا بالله سبحانه إذا تدبّرنا آياته وفكّرنا بها وتمسّكنا بتعاليمها كما يتمسّك الإنسان بحبل النّجاة، فهو كالحبل الممدود ما بين السماء والأرض. والشيء

النّفيس الآخر الذي تركه الرسول ﷺ هو عترته أي ذريّته وأهل بيته، فهم في فضلهم ومنزلتهم عند الله كالقرآن الكريم، ومن أحبّهم ولزم مودّتهم وسار على نهجهم وعمل بتعاليمهم نجا، وكان كمن يتمسّك بكتاب الله. وإنّ الله سبحانه قد أخبر رسوله بأنّ هذين الثّقلين العظيمين لن يفترقا عن بعضهما إلى يوم القيامة. ثمّ يوصي الناس بالتعلّق بهما معاً، فهما سبيل النجاة للمؤمنين.

وكان ﷺ وسلم في مناسبةٍ سابقةٍ قد بسط عباءته فوق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال:

(اللّهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً).

وهنا يدعو رسول الله ربّه بأن يرعى أهل بيته برعايته، فيذهب عنهم الرجس، أي يحفظهم من العمل القبيح، ويعصمهم من ارتكاب الذنوب، ويطهرهم في أبدانهم وأعمالهم وأقوالهم تطهيراً تامّاً كاملاً.

واستجاب له ربّه سبحانه، ونزلت فيهم الآية

الكريمة: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) .

وفي حجّة الوداع أيضاً، وهي آخر حجّة حجّها رسول الله ﷺ ، جمع الناس في مكانٍ يدعى (غدير خمٍّ)، وخطب فيهم خطبةً طويلةً، وكان ممّا قاله فيها بعد أن أخذ بيد عليّ عليه السلام :

(من كنت مولاه فهذا - يعني عليّاً - مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه كيف دار).

هذه الأحاديث التي تحدّث بها رسول الله ﷺ وسلم، إلى جانب أحاديث غيرها كثيرة، كإعلانه أنّ أئمة الحقّ والصدق هم اثنا عشر إماماً، أوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم حفيده المهدي الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه، هذه الأحاديث تبيّن لنا الطريق مستقيماً واضحاً، وتبيّن لنا من هم ولاة الأمر بعد الرسول ﷺ ، كما تبيّن لنا فضلهم ومكانتهم، وندرك بها عظمتهم وعصمتهم وقداستهم، كيف لا وهم بنصّ الحديث القدسيّ رفيقهم القرآن

الكريم. ودليلهم الملازم لهم. لا يفترقون عنه حتى قيام الساعة.

وتدلّنا هذه الأحاديث أيضاً عمن هم القادة للأمة الإسلامية، وأنّ علينا مناصرتهم والسير على خطاهم لنفوز بخير الدنيا والآخرة.

وفي هذه الحجّة، حجّة الوداع، وبعد أن عيّن رسول الله ﷺ لأمّته قادتها وبيّن لها طريقها، وأنّه أدّى الأمانة الموكلة إليه من ربّه. تلا على الناس قوله سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً).

## المودّة في القربى

لم يلبث عليه الصلاة والسلام بعدها إلاّ قليلاً، فارتحل إلى جوار ربّه، دون أن يطلب على عمله من أمّته جزاءً ولا شكوراً، غير وصيّة تمثّل بها بقوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى).

نعم، لم يطلب منّا سوى المودّة في حقّ أهل بيته عليهم السلام.

عليك الصلاة والسلام يا رسول الله، لكم كنت متواضعاً مقلاّ في مطالبك. لقد قدّمت للبشرية فضلاً لا يدانيه فضل، وقدت الأمّة إلى طريق فيه فوزها وسعادتها ونجاتها، بعد أن خلّصتها من مهاوي الرذيلة والانحطاط والشرّ، وسموت بها في الطريق الصاعدة إلى الله، وعلى كلّ هذا لم تطلب منها سوى المودة في القربى فهل قدّمت لك أمّتك هذا المطلب الوحيد؟

أبداً لقد مرّ معنا في قصص القادة الأبرار كم كانت الأمّة جاحدة لفضل نبيّها، متنكّرة لجميله معها، فقست مع أهل بيته، وعاملتهم بالجحود والقسوة، ونبذت وصيّته وعملت بنقيضها، وجهدت على تسليم قيادها إلى غير أهل البيت، ممّا أوصل حكم الأمّة الإسلامية إلى أيدٍ عدوّةٍ للإسلام والمسلمين، في موجة انحرافٍ إثر موجة، جرفت في طريقها كلّ المعاني السّامية التي أتى بها خاتم النبيّين، وكادت تقضي على الإسلام نفسه لولا أن تصدّى لها أئمّة الحقّ الأطهار، وقدّم كلّ منهم - كما رأينا - حياته ثمناً لهذا التصدّي. وفداءً لحفظ بيضة الإسلام.

وصل بنا الحديث فيما سبق إلى الإمام العاشر عليّ الهادي عليه السلام ، الذي عهد بالإمامة لابنه الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر عليه السلام . الذي هو موضع قصّتنا هذه.

## الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ولد الإمام الحادي عشر أبو مُحَمَّد الحسن العسكري عليه السلام بالمدينة المنوّرة في الثامن من ربيع الثاني سنة ٢٣٢ للهجرة، ولما بلغ السنة الثانية من عمره، رافق أباه الإمام الهادي عليه السلام مع الأهل إلى سامرّاء، تلبيةً لدعوة المتوكل العباسيّ له، وقد أنزلهم المتوكّل في بيتٍ تحيط به معسكرات الجيش، كي يأمن جانبهم ويراقب تحرّكاتهم، لذلك لقب الإمام الهادي وابنه الحسن بالعسكريين.

حين بلغ الإمام العشرين من عمره توفّي أبوه الإمام الهادي عليهما السلام ، فصلّى عليه وقام بدفنه، ثمّ أعلن إمامته بعده، دون أن يجرؤ المعتزّ العباسيّ على مدّ يد الأذى إليه، رغم أنّه كان يتحين الفرص لذلك. ولم

يطل به الأمر حتى ثار عليه جماعة من الأتراك وقتلوه سنة ٢٥٤ للهجرة.

كان المعتزّ قد دعا حاجبه إليه - واسمه سعيد الحاجب - وأمره أن يرتّب انتقال الإمام إلى الكوفة، وفي الطريق يتخلّص منه دون أن يعلم أحد من الذي قتله، ولما علم أنصار الإمام بعزمه على الانتقال إلى الكوفة خافوا عليه، وازداد قلقهم حين عرفوا أنّ انتقاله كان بترتيب من المعتزّ، وهم يعرفونه ويعرفون مقاصده، لكنّ الإمام قبل سفره ترك لهم كتاباً يطمئنهم فيه، ويقول لهم بأنّ الغمّ الذي نزل بهم سرعان ما سينحسر إن شاء الله تعالى. ولم يمض على ذلك غير أيّام ثلاثةٍ حين ثار الأتراك على المعتزّ وقتلوه، ولقي سعيد الحاجب جزاءه؛ وخلفه في الحكم المهتدي العباسي.

كان المهتدي يتطلّع إلى إقامة العدل والسّير على سنّة الخلفاء الرّاشدين، ومع ما قام به من أعمالٍ حسنةٍ فقد كان لا يخفي بغضه وعداءه للإمام، وكان لا يتأخّر عن قتل أنصاره أو طرحهم في السجون، كما كان يضيّق على الإمام ويمنع الناس من التّوافد إليه. لكنّ فترة حكمه

كانت قصيرة، فلم تمض عليه سنة حتى عدا عليه الأتراك وخلعوه، ونصّبوا مكانه أخاه المعتمد، ثمّ عملوا على قتله فيما بعد.

كان المعتمد رجلاً معتدلاً، انشغل بأمور الحكم ومشاكله عن الإمام، وفي عهده وبعيداً عن عيون جواسيس بني العباس ولد الإمام الثاني عشر، المهدي الموعود، حجّة الله على خلقه، وأمل المستضعفين والمظلومين. وكانت ولادته في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، من أمّ روميّة تدعى نرجس، ورغم علم أعوان الحاكم بمولده، ومحاولتهم الوصول إليه، فقد كفّت العناية الإلهيّة أيديهم عنه، وحفظت إمام الزمان (عج) من مكرهم.

## عصر الإمام العسكريّ عليه السلام

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام هدفاً لظلم بني العباس وطغيانهم، ورغم شدّة ضغوطهم وتضييقهم عليه فقد ازداد التفاف الناس حوله، بعد أن رأوا على يديه من المعجزات ما جعلهم أحد فريقين: إمّا فريقٍ محبٍ عاشقٍ، أو فريقٍ مرعوبٍ خائفٍ، فقد

كان عليه السلام يكشف للناس أفكارهم و مقاصدهم، فإذا وفد عليه أحد في حاجةٍ كشف له عن حاجته وقضاها له بعد أن تركه في حيرةٍ وتعجّبٍ شديدين، وإن قصده أحد بسوءٍ، كشف له عن سريرته وفضح أمره، وتركه في رعبٍ وفزع، كما جرى له مع أحد جلاّدي الحاكم ويدعى (علي بن أوتامش) الذي كان يريد بالإمام سوءاً، لكنّه انقلب إلى رجل آخر يطلب السماح والمغفرة من الإمام، بعد أن رأى قدر الإمام ونبله وعظمته.

لكنّ الحكّام رغم كلّ هذا نجحوا في منع الناس من التّوافد إليه. وشدّدوا الضغط على أعوانه، فاقتصر الاتّصال بينهم على الرسائل، وبعد أن صارت الرسائل تفتح على يد أعوان الحكّام، صار اتّصال الناس بالإمام يتمّ عن طريق وكلائه فحسب.

ورغم كلّ هذا فقد انتشر الشيعة في عصره عليه السلام في كلّ مكان من بلاد الإسلام، ينشرون تعاليمه وأحاديثه، وحقّقوا الفوز والغلبة على خصومهم من المنحرفين والملحدين. وكانت جموعهم تتقاطر إلى

(قمّ) و (نيسابور) حيث يتحلّق الناس حول العلماء والرّواة والمحدّثين، يأخذون عنهم أحاديث الإمام عليه السلام، ويتباحثون معهم في تعاليمه، ويذرفون الدّموع حنيناً إلى لقياه.

كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام أخ يدعى جعفراً، وكان جعفر هذا إنساناً جاهلاً غير صالح، ممّا دفع الحكام إلى تقريبه منهم وذلك لاستخدامه ضدّ أخيه وأنصاره، فكان ينقل إليهم أخباره وما يجري في بيته.

وكان الحكّام يترقّبون ولادة ابن للإمام العسكري عليه السلام، ويشدّدون الرّقابة عليه، وحين ولد المهدي المنتظر عليه السلام، ورأى جعفر تكتم أخيه الإمام في هذا الأمر، وإخفاؤه لخبر مولده خيفةً عليه، كتم بدوره هذا الخبر عن المعتمد العباسي، وذلك لأنّه كان يطمع في وراثة أخيه، وإخفاء خبر مولد المهدي عليه السلام، يساعده في تنفيذ أطماعه وتحقيق مآربه الخبيثة.

## الشهادة

لم تطل إمامة الحسن العسكري أكثر من ستّ سنوات، فقد نجح أعوان المعتمد العباسيّ في دسّ

السمّ للإمام في طعامه، فوقع صريع المرض من تأثير السمّ، وحين انتشر خبر مرضه أوفد إليه المعتمد مجموعةً من الأطبّاء وأمرهم بأن يلازموا فراشهليلاً ونهاراً، كما توافد لعيادته لفيف من كبار القوم. كذلك كان ممّن اهتمّوا به قاضي القضاة في ذلك الحين، وقد أراد المعتمد بموقفه الذي وقفه من الإمام خلال فترة مرضه أن يدفع التّهمة عن نفسه.

بقي الإمام طريح الفراش ثمانية أيّام، أسلم بعدها الروح والتحق بالرّفيق الأعلى، وكانت وفاته سنة ٢٦٠ للهجرة، وأصدر الأطبّاء والقضاة كالعادة شهاداتهم بأنّه عليه السلام مات حتف أنفه. والله أعلم. كما أعلنوا أنّه توفّي دون أن يترك وراءه ابناً أو ذرّيّةً. وتقدّم الناس من أخيه جعفر يعزّونه، وبعد أن تمّ تجهيز الجثمان الشريف ووضع على النعش وتهيّأ المعزّون للصلاة عليه، تقدّم أخوه جعفر المصلّين وهمّ بالتكبيروإذا بصبيّ أسمر اللّون يتقدّم من جعفر ويمسك بثوبه قائلاً:

تأخّر يا عمّ، أنا أحقّ منك بالصلاة على أبي).

بهت جعفر، لكنّه تأخّر وقد اربدّ وجهه، فتقدّم

الصبيّ فصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه الهادي، عليهما السلام . ومشهدهما اليوم كعبة للوافدين يتبرّكون به، ويتوسّلون إلى الله سبحانه أن يجمعهم معهما على الحقّ والهدى، ويوفّقهم للسّير على خطى أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

أمّا الصبيّ فبعد أن صلّى على أبيه خرج من بين الناس كما ظهر، دون أن يتمكّن أحد من الإمساك به. وقد أدرك العدوّ والصديق أنّه المهدي صاحب الزمان، الإمام الثاني عشر، عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه، وجعلنا من أعوانه وأنصاره والمستشهدين بين يديه.

ونختتم قصّتنا الموجزة عن الإمام العسكريّ عليه السلام ببعضٍ من أقواله وكلماته القصار:

جاء عنه أنّه كان يقول: أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدّهم لها قضاءً، أعظمهم عند الله شأناً. ومن تواضع في الدنيا لإخوانه، فهو عند الله من الصدّيقين، ومن شيعة عليّ بن أبي طالب حقّاً.

وقال لجماعةٍ من أنصاره: أوصيكم بتقوى الله،

والـورع في ديـنكم، وصـدق الحـديث، وأداء الأمانـة إلى مـن ائتمـنكم مـن برٍّ أو فـاجر، وطـول السّجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد ﷺ وسلم.

وقال: ليس العبادة كثرة الصلاة والصيام، وإنّما هي كثرة التّفكر في أمر الله. بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً الغضب مفتاح كلّ شرٍّ. وأقلّ الناس راحةً الحقود. وأزهد الناس من ترك الحرام. من يزرع خيراً يحصد غبطةً، ومن يزرع شرّاً يحصد الندامة، قلب الأحمق في فمه، وفم الحكيم في قلبه.

وقال عليه السلام: خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله ونفع الإخوان.

إلى غير ذلك من وصاياه ونصائحه، التي كان يوجّهها إلى الناس لبيان ما يجب أن يكون عليه المسلم من الأخلاق والصّفات.

وكانت سيرته عليه السلام كسيرة من سبقه من أهل

البيت الأطهار، سيرةً حميدةً برزت في أخلاقهم كما برزت في أعمالهم، فكانوا هداةً لسواء السبيل، دعاةً مخلصين للحقّ، حماةً لنقاء الإسلام وصفائه من الزّيف. وفّقنا الله للسّير على خطاهم، والاقتداء بسيرتهم، وذلك هو السبيل إلى مرضاته. والسلام.

## الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فَرجه الشريف)

**الاسم: الإمام مُحَمَّد المهدي عليه السلام**

**اسم الأب: الإمام الحسن العسكري عليه السلام**

**اسم الأم: نرجس**

**تاريخ الولادة: ١٥ شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة**

**محل الولادة: سامرّاء**

**مدة الغيبة الصغرى: ٦٩ سنة**

بسم الله الرحمن الرحيم

## البشارة النبوية

في أواخر سني حياته، قصد رسول الله ﷺ مكة حاجّاً، يرافقه حشد كبير من المسلمين، يتلقون عنه - كعادتهم كل عام - آداب الحج وأحكامه، وفي منى وقف فيهم خطيباً، يدعوهم إلى الحرص على المحبة والمساواة والاتّحاد، ثم ختم خطابه بقوله: (الإئمة بعدي اثنا عشر - ثمّ أردف - كلهم من قريش).

وفي موقف آخر قال: (الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم علي، وآخرهم القائم). (أي قائم أهل البيت، المهدي عليه السلام). وقال أيضاً في موقف ثالث: (المهدي منا أهل البيت يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً).

كما بين أيضاً أنّ المهدي من ولد فاطمة ومن ذرية الحسين، وذلك حينما ضرب بيده على منكب الحسين وقال: (من هذا مهدي هذه الأمة) عليهم جميعاً أفضل السلام.

كانت هذه البشارة من رسول الله ﷺ إلى أمّته، موضع اهتمام وانتشار بين الناس، إذ أتت على لسان رسول ربّ العالمين صريحة قاطعةً، تضع الحق في نصابه، وتحدد للأمة الإسلامية قادتها بالحق، فتناقلتها القلوب قبل الألسنة، ودوّنها كتّاب الحديث على اختلافهم، ونقلوها إلينا أحاديث نبوية قدسية، واشترك في روايتها جميع المسلمين، السني منهم والشيعي، كيف لا وهو الإمام المنتظر، والمخلص الموعود، والقائد المظفر، أعدّه الله سبحانه ليظهر به دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

## أم الإمام المنتظر

ولد الامام الحجة لأبيه من أم رومية، تعرف بين أفراد عائلة الإمام باسم (نرجس). ويروى أنّها كانت بنت ملك من ملوك الروم، وأنّ أمها تنتهي بالنسب إلى (شمعون الصفا) أحد حواريي المسيح عليه السلام.

وقعت (نرجس) في أسر المسلمين بعد معركة جرت بين المسلمين وبين قومها الروم في مدينة تدعى (عمورية)، انتهت المعركة بانتصار كبير للمسلمين، ووقع عدد كبير من الروم أسرى جيء بهم إلى بغداد.

وقد جرت العادة أن يباع الأسرى في سوق تسمّى سوق النخاسة، وكان بيع الأسرى يتم لتأمين أماكن لسكناهم ورعايتهم، وكذلك على أساس المعاملة بالمثل، كما كان يجري للأسرى المسلمين، الذين يقعون في أيدي خصومهم من غير المسلمين.

أرسل الإمام الهادي عليه السلام أحد النخاسين واسمه (بشر) إلى بغداد، ليشتري الفتاة الرومية الأسيرة، ويحضرها إليه. فحملها النخاس إلى سامراء حيث يقيم الإمام عليه السلام، الذي بشرها بمولودها المبارك، المهدي المنتظر، الذي يملك الدنيا، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

سرت (نرجس) لهذه البشرى، وأقامت لدى الإمام قريرة العين. وكانت من الصالحات الناسكات، وحين حملت بالمهدي عليه السلام، خفي حملها على أكثر النساء اللواتي كن قريبات منها، وشاء الله لها أن تكون أماً لأكرم مولود، حارت به الظنون وضلّت به العقول، وصدق به المؤمنون برسالة جده المصطفى، وآبائه أئمة الهدى؛ عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

(ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)
القصص: الآية ٥.

## الخامس عشر من شعبان

حلت ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، فطلب الإمام الحسن العسكري من عمته السيدة حكيمة أن تلازم (نرجس) في تلك الليلة ولا تفارقها. فقد شاءت العناية الإلهية أن تكون هذه الليلة المباركة، ليلة الخامس عشر من شعبان، هي الليلة الموعودة، لولادة المنتظر الموعود، ووضعت (نرجس) وليدها المبارك، تحيطه العناية برعايتها، وتحفّ الملائكة بمهده. وأسماه أبوه - إنفاذ لمشيئة الله - مُحَمَّداً المهدي. وطبقاً للحديث القدسي عن رسول الله ﷺ :

(لا تذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي). (أي يماثل اسمه اسمي).

ومعنى كلمة (المهدي) هو كل من تلبس بالهدى والصلاح، ودعا إلى الحق والخير والصراط المستقيم. وأصبح هذا الاسم علماً على الإمام الثاني عشر عليه السلام. ويعني إضافة إلى ذلك أنّه سيقود الثورة على

الظالمين والجائرين، ويحارب الطغاة والجبابرة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

## مهدي هذه الأمة

توفي الإمام الحسن العسكري عليه السلام متأثراً بالسم، سنة ٢٦٠ للهجرة. وكانت سن الإمام المهدي عليه السلام خمس سنوات. ولم يكن يظهر إلاّ للخاصّة المقربين من أنصار أبيه، وذلك حرصاً على حياته، لأنّ العباسيين كانوا جادين في البحث عنه بتحريض من عمه جعفر الكذّاب، رغم إعلانهم بأن الإمام العسكري عليه السلام، توفي دون أن يترك ذرية. وكانوا يدركون مقدار كذبتهم، ويأملون بالعثور عليه والتخلص منه؛ كي يخلو الجو إلى صنيعتهم عمه جعفرٍ.

وقف جعفر يتلقى التعزية بأخيه الإمام عليه السلام، وحين همّ بالصلاة عليه وتهيأ للتكبير ظهر غلام أسمر اللون، وتقدم منه قائلاً:

(تأخّر يا عم، أنا أحق منك بالصلاة على أبي).

بهت جعفر واصفرّ لونه، لكنّه لم يملك إلاّ أن يتنحّى مفسحاً المكان لابن أخيه، الذي صلّى على أبيه، ثم خرج

من المكان دون أن يستطيع أحد الإمساك به. وأسقط في يد جعفر، هذا المنحرف الذي ترك خطّ آبائه واختار طريق المنكر والسوء، وصدقت فيه كلمة أبيه الإمام الهادي عليه السلام إذ قال:

(تجنبوا ولدي جعفراً، فإنّه مني بمنزلة ابن نوح، الذي قال الله فيه: (يا نوح إنّه ليس من أهلك، إنّه عمل غير صالح).

## غيبة إمام الزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)

قلنا إنّ المهدي عليه السلام كان لا يظهر إلاّ للمقربين، وقد غاب عن أنظار الناس غيبتين:

الغيبة الصغرى وامتدت تسعاً وستين سنة، كان يتّصل خلافها بوكلائه الخاصين الأمناء، وكانوا هم واسطة الاتصال بينه وبين الناس، يتلقون تعليماته وإرشاداته بواسطة الرسائل التي كانوا يحملونها إليه من كافة الأقطار، ويأخذون منه أجوبتها لأصحابها. كما كانوا يقومون بجباية الأموال الشرعيّة والتصرف بها في وجوهها حسبما تقضي المصلحة. ووكلاءه في تلك الفترة هم على التوالي:

عثمان بن سعيد، وابنه مُحَمَّد بن عثمان، والحسين بن روح، وعلي بن مُحَمَّد، وكانوا يدعون بالسفراء. وبعد وفاة هذا الأخير انقطع اتصال الإمام بالناس تماماً، وبدأت غيبته الكبرى عليه السلام، وهي ممتدة إلى يومنا هذا وستستمر حتى يأذن الله له بالظهور، عجل الله فرجه الشريف.

وإنّ من أهداف الغيبة الصغرى تهيئة أذهان الناس لمفهوم الغيبة الكبرى، وتعويدهم تدريجاً على احتجاب الإمام عنهم، كي لا يفاجأوا عند ما يحتجب في غيبته الكبرى، وقد سبقه إلى ذلك أبوه العسكري وجدّه الهادي عليهما السلام، فقد كانا يحتجبان كثيراً عن أعين الناس، في خطوةٍ تعتبر تمهيداً لغياب المهدي عليه السلام واحتجابه.

وكذلك فإنّ الاحتجاب يعود الناس على الاتصال بالسفراء وقبول رعايتهم لشؤونهم، والتوسط بينهم وبين الإمام عليه السلام في فترة غيبته الصغرى. وقد شغل السفير الأول منها حوالي خمس سنوات، والسفير الثاني حوالي الأربعين عاماً، والسفير الثالث واحداً وعشرين عاماً، والرابع بقي في

السفارة ثلاث سنوات. توفي بعدها، وبدأت بوفاته الغيبة الكبرى.

هذا وإنّ أسباب الغيبة الكبرى هي من الأمور الغيبة، وفي روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام، حين سئل عن ذلك قال:

(إنّ هذا الأمر لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر إلاّ بعد أن افترق عن موسى عليه السلام، وإنّ هذا أمر من أمر الله، وسر من أسراره، وغيب من غيبه).

وعلينا الالتزام بما اقتضته مشيئة الله سبحانه.

وعن الإمام الحسن عليه السلام، أنّه قال لجماعة لاموه على تسليم السلطة لمعاوية بن أبي سفيان:

(ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلاّ القائم فإنّ الله يخفي ولادته، ويغيّب شخصه، لئلاّ تكون في عنقه بيعة، وهو التاسع من ولد أخي الحسين، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته، في صورة شاب دون الأربعين، والله على كل شيء قدير).

نعم، الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيءٍ، ويحدّثنا

القرآن الكريم عن كثير من المعمّرين، فهذا النبي نوح عليه السلام، قد عمر أكثر من ألف سنة، كما أخبرنا ببقاء عيسى عليه السلام.

والتاريخ أيضاً يحدثنا عن كثيرين: لقمان بن عاد عاش خمسمئة سنة، وقيس بن ساعدة عاش سبعمئة سنة، وعمر بن ربيعة عاش أربعمئة سنة وغيرهم كثير.

ومن الطبيعي أن ينتقل تفكيرنا إلى من يرعى شؤون المسلمين في هذه الفترة - فترة الغيبة الكبرى - ومن يتولى أمورهم، لأنّ ولاية أمر المسلمين مهمة ذات شأن عظيم، وهي تستمد شرعيتها من الآية الكريمة : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

وفي غيبته عليه السلام، وإلى أن يأذن الله له بالفرج، على المسلمين أن يرجعوا في أمور دينهم ودنياهم إلى الفقيه العادل الذي تحدد الرواية القدسية أوصافه: (وأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه).

## أسطورة السرداب

كان الإمام المهدي عليه السلام، خلال الفترة الأولى من

حياته يعيش في بيت أبيه الإمام العسكري عليه السلام ، وكان يتستر عن عيون الحكام وجواسيسهم، ويلجأ أحياناً إلى مخبأ في البيت يسمونه (السرداب)، وكان السرداب - ولا يزال حتى اليوم - يستعمل في بيوت العراق للوقاية من حر الصيف اللاهب.

فإذا اشتدّ الطلب عليه، أو حوصر بيته كان يخرج من البيت محاطاً بعناية الله ورعايته، ويغيب مدة يحضر فيها المواسم الدينية. أو يزور مجالس أصحابه الأوفياء، يحل مشاكلهم ويقضي حوائجهم؛ من حيث لا يعرفه إلاّ الصفوة المخلصون منهم.

وحين بدأت غيبته الكبرى عليه السلام ، خرج من بيت أبيه في سامراء، إلى أرض الله الواسعة، يعيش مع الناس، ويقاصي ما يقاسون، ويحضر مواسم الحج وغيرها من المناسبات، دون أن يعرفه أحد، حسب التخطيط الإلهي، والمصلحة الإسلامية العامة، الأمر الذي هو سر من سر الله وغيب من غيبه، كما قال الصادق عليه السلام .

وقد استغلّ الحاقدون زيارات المؤمنين لمرقد الإمامينالهادي والعسكري عليهما السلام ، في سامراء، واتّهموهم

بالقول بأنّهم يعتقدون أنّ الإمام المهدي (عج) دخل السرداب وما زال فيه وهذا - لا شك افتراء رخيص وادّعاء باطل.

فقد عرفنا أنّ المهدي عليه السلام، غادر بيت أبيه نهائياً ليعيش كما يعيش غيره من الناس. وذلك حتى يحين وقت المهمة التي ادّخره الله لها، فيظهر ليحقّ الحق ويزهق الباطل، ويملأ الدنيا قسطا وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، تسليماً بقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، الذي لا ينطق عن الهوى، ومصداقاً لوعد رب العالمين بأن يرث المؤمنون الأرض وما عليها.

وعلينا نحن إلى ذلك الوقت وقت ظهوره الشريف، أن نجند أنفسنا لنكون من أعوانه وأنصاره، وذلك بأن نتقيد بتعاليم رسالة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأن نكون من أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتأبى الظلم وتحارب الظالمين، لنستحقّ أن نكون من جنوده عليه السلام، جنود الحق والعدل والإيمان، داعين إلى الله سبحانه أن يعجّل فرجه، ويسهّل مخرجه، ويجعلنا من أنصاره، والدعاة إلى سبيله.

**والسلام على من اتّبع الهدى**

## الفهرس


**سلسلة أئمة أهل البيت عليهم السلام ..... ١**

**مؤسسة البلاغ..... ١**

الرسول الأعظم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ..... ٣

عام الفيل..... ٣

مُحَمَّد الأمين ..... ٧

البعثة..... ١٠

وأنذر عشيرتك الأقربين..... ١١

في مواجهة الشرك..... ١٣

أول شهادة في الإسلام..... ١٧

المقاطعة ..... ١٩

الهجرة ..... ٢٢

وقعه بدر الكبرى ..... ٢٥

صلح الحديبية ..... ٢٦

انتشار الإسلام..... ٢٦

فتح مكة ..... ٢٩

اذهبوا فأنتم الطّلقاء..... ٣٣

بين المسلمين والروم ..... ٣٤

يأيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك..... ٣٧

الساعات الأخيرة..... ٣٩

فاطمة الزهراء عليها السلام ..... ٤٢

فاطمة الزهراء عليها سلام الله..... ٤٢

امرأة فاضلة ..... ٤٣

العزلة..... ٤٣

الولادة..... ٤٤

فاطمة عليها السلام ..... ٤٥
درع مهر عروس ..... ٤٨
بعد شهر ..... ٥٠
مجلس العرس ..... ٥١
في بيت عليّ عليه السلام ..... ٥٢
الحياة الزوجية..... ٥٣
أجر الرسالة ..... ٥٤
التطهير ..... ٥٤
غضب فاطمة من غضب الله ..... ٥٥
ما بعد الأب ..... ٥٥
فاطمة عليها السلام على فراش المرض ..... ٥٦
الرسالة الأخيرة ..... ٥٧
وكانت هذه قصّة فاطمة عليها السلام ..... ٥٨
الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام ..... ٥٩
الجاهلية والإسلام..... ٥٩
بعد الرسول ..... ٦٠
عهد الحسن عليه السلام ..... ٦٢
الخيار بين الدين والدنيا..... ٦٤
الخيار الصّعب..... ٦٨
نقض العهد..... ٧٣
الإمام الحسين عليه السلام ..... ٧٥
الوليد المبارك ..... ٧٦
بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله ..... ٧٧
الحسين عليه السلام وبيعة يزيد..... ٧٨
التوجه إلى مكّة..... ٨٠
الكوفة مركز الأحداث..... ٨٢
نحو العراق ..... ٨٣
أرض الكرب والبلاء ..... ٨٤

الليلة الأخيرة ..... ٨٥
يوم عاشوراء والمودة في القربى ..... ٨٧
في الشام ..... ٨٩
الشهادة والثورة ..... ٩١
الإمام زين العابدين عليه السلام ..... ٩٣
أم الإمام ..... ٩٣
العناية الإلهيّة ..... ٩٦
الإمام يواجه ابن زياد ..... ٩٨
في مواجهة الطاغية يزيد ..... ٩٩
في المدينة ..... ١٠١
اندلا ع الثورات ..... ١٠٣
ثورة المختار ..... ١٠٦
إنّه عزيز ذو انتقامٍ ..... ١٠٧
أخلاقه من أخلاق جدّيه مُحَمَّد وعليّ ..... ١٠٨
الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق ..... ١١٠
الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام ..... ١١٢
ثمرة الشجرة المباركة ..... ١١٢
طفولة الإمام وشريط الأحداث ..... ١١٣
سلام رسول الله صلى الله عليه وآله ..... ١١٤
عصر الإمام عليه السلام وشريط الأحداث ..... ١١٦
مع هشام بن عبد الملك ..... ١١٩
مع العالم النصراني ..... ١٢٥
آيات العذاب ..... ١٢٧
حياة حافلة ..... ١٢٩
الإمام الصادق عليه السلام ..... ١٣١
ما قبل الإمامة ..... ١٣١
جامعة أهل البيت عليهم السلام ..... ١٣٤
الإمام عليه السلام في مواجهة الأحزاب ..... ١٣٦

(الخمس) عامل استقلال ..... ١٣٨
الإمام عليه السلام بمواجهه المنصور ..... ١٣٩
انتشار مدارس الإمام عليه السلام ..... ١٤٣
استشهاد الإمام عليه السلام ..... ١٤٦
الإمام موسى الكاظم عليه السلام ..... ١٤٩
عصر الباقر والصادق عليهما السلام ..... ١٤٩
الوصية العجيبة ..... ١٥٢
الإمام الكاظم عليه السلام ..... ١٥٣
قصة هشام بن سالم ..... ١٥٤
أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ..... ١٥٧
قصة صفوان بن مهران ..... ١٥٩
قصّة علي بن يقطين ..... ١٦٤
الإمام علي الرضا عليه السلام ..... ١٧١
الكاظم والرّضا عليهما السلام وهارون الرشيد ..... ١٧١
الرضا عليه السلام والمأمون ..... ١٧٥
سفر لا عودة منه ..... ١٧٧
صلاة لم تتمّ ..... ١٨٥
أموت في غربةٍ ..... ١٨٧
الإمام مُحَمَّد الجواد عليه السلام ..... ١٩٠
المواجهة الأولى ..... ١٩٠
اعتراض العباسيين ..... ١٩٣
مجلس الامتحان ..... ١٩٦
زواج سياسيّ ..... ٢٠٠
الإمام عليه السلام والمعتصم ..... ٢٠٢
الأثر الطيّب ..... ٢٠٤
الإمام علي الهادي عليه السلام ..... ٢٠٧
(صريا) المزرعة المباركة ..... ٢٠٧
الإمامة ..... ٢٠٨

فرن كبير ..... ٢٠٩
الحقد على الشهداء كما على الأحياء ..... ٢٠٩
في الطريق إلى سامرّاء ..... ٢١٢
الإمام في سامرّاء ..... ٢١٤
أعماله ومآثره عليه السلام ..... ٢١٧
الشهادة ..... ٢١٨
جعفر الكذّاب ..... ٢١٩
الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام ..... ٢٢١
الثّقلان: كتاب الله وأهل البيت ..... ٢٢١
المودّة في القربى ..... ٢٢٥
الإمام الحسن العسكري عليه السلام ..... ٢٢٧
عصر الإمام العسكريّ عليه السلام ..... ٢٢٩
الشهادة ..... ٢٣١
الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فَرجه الشريف) ..... ٢٣٥
البشارة النبوية ..... ٢٣٦
أم الإمام المنتظر ..... ٢٣٧
الخامس عشر من شعبان ..... ٢٣٩
مهدي هذه الأمة ..... ٢٤٠
غيبة إمام الزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) ..... ٢٤١
أسطورة السرداب ..... ٢٤٤
الفهرس ..... ٢٤٧